الفصل الثاني عشر

الامبراطورية اللاتينية في القسطنطينية
١٢٠٤ - ١٢٦١ م

تأليف
روبرت لي وولف
ترجمة
أ. د. ليلى عبد الجواد إسماعيل

الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية 1204-1261م

استولى الصليبيون والبنادقة على القسطنطينية في الثالث عشر من شهر إبريل/ نيسان، وقسمت الغنيمة، وركزوا اهتمامهم حول اختيار أول إمبراطور لاتيني(١). ووافق بونيفاس مونتفرات على أن يختار باعتباره قائداً للجيش وشغل قصر بوكليون (فم الأسد)(٢) الإمبراطوري، والمخصص للمرشح الذي ينجح في الانتخاب وفقاً للاتفاق السابق(٣)، ولكنه ما لبث أن غادره تحت ضغط الرأي العام الذي أثاره الدوج، ومع أن بونيفاس ربما كان متزوجاً بالفعل، إلا أنه من المؤكد أنه قام بخطبة مارجريت (ماريا) أرملة الإمبراطوراسحق الثاني انجيلوس، وأخت اميريك Emeric ملك المجر، وهو حليف مما يضمن له شرعية ادعاءاته الإمبراطورية(٤).

ولم يبق من اليونانيين (البيزنطيين) في القسطنطينية (بعد وقوعها في أيدي الصليبيين) سوى النساء والأطفال والشيوخ وأفراد من الطبقات الدنيا الذين لم يستطيعوا الفرار من الغزاة، والذين توقعوا أن يكون بونيفاس حاكمهم الجديد، لذلك عندما كانوا يقابلون أحد اللاتين في الطريق كانوا يحاولون التملق إليه، وذلك بأن يرفعوا اصبعين على شكل صليب ويقولون في حزن «الماركيز الإمبراطور المقدس Aiio phasileos marchio».

ولكن وجد بونيفاس نفسه(٥) لا يستطيع أن يحدد الناخبين الصليبيين الستة للجنة المكونة من اثني عشر ناخباً، واختار الصليبيون في النهاية ستة من رجال الدين، لم يؤيد منهم بونيفاس سوى ثلاثة، وهذا حدد نهايته، لأن البنادقة اختاروا ستة ناخبين علمانيين وليسوا من رجال الدين(٦)، وعارض هؤلاء جميعاً انتخاب بونيفاس كإمبراطور، فلم يكن الدوج ليسمح بانتخابه ولا سيما أنه كان حليفاً قديماً للجنوية(٧). في حين وافق الستة المنتخبين من قبل البندقية جميعاً على انتخاب الكونت بلدوين فلاندرز وهينولت واختياره كإمبراطور(٨). وأيده كذلك ثلاثة من الناخبين الصليبيين، بل أن الثلاثة الآخرين الذين رشحوا بونيفاس وأيدوه ما لبثوا أن استسلموا وانضموا إلى الآخرين، وأعلنوا بالإجماع انتخاب بلدوين في منتصف ليلة التاسع من مايو/ أيار عام ١٢٠٤م. وعلى الرغم من إخفاق بونيفاس إلا أنه دان بالتبعية والولاء

بلدوين، الذي توج في السادس عشر من مايو/ أيار في احتفال مهيب في آيا صوفيا بإجماع الأساقفة والجيش الصليبي، وفي غياب البطريرك اللاتيني. وقد حاكى اللاتين -الذين شاهدوا تتويج الكسيس الرابع أنجيلوس إمبراطوراً منذ أقل من عام- الرسوم البيزنطية في التتويج، فلبس بلدوين الأحذية الأرجوانية المقدسة، ورصعوا عباءته بالنسور المحلاة بالجواهر الكريمة، ولقب بلدوين نفسه هو وخلفاءه «Porphyrogenitus Semper Augustus»(٩) ووقعوا الوثائق الإمبراطورية بحبر زئبقي اللون مقدس، وباستخدام الحروف اليونانية، ثم خلع على أتباعه لقباً يونانياً خاصاً وهو كبر الحجاب Protovestiarios (١٠)وإن كان معظم أفراد البلاط الإمبراطوري قد احتفظوا بالأسماء أو الألقاب الغربية المألوفة مثل: - السنشال(القهرمان) Seneschal أي وكيل المال الإقطاعي، والمارشال Marshal (١١)، والساقي Bulter (١٢)، والكندسطبل Constable (١٣).

وعلى الرغم من المظاهر الخارجية المرتبطة بالسلطة الإدارية المقدسة للإمبراطور البيزنطي فإن الإمبراطور اللاتيني ظل حاكماً إقطاعياً غربياً، قلل من سلطته قبل اختياره.

وكانت المعاهدة البندقية الصليبية الموقعة في مارس ١٢٠٤م قد وضعت الإجراءات الخاصة باختياره الإمبراطور اللاتيني، وحددت له بالإضافة إلى القصرين الملكيين البيزنطيين في العاصمة، ربع الإمبراطورية فقط، أما الثلاثة أرباع الباقية فكان يجب أن توزع بين البنادقة وغير البنادقة (الصليبيين). كما أن الدوج لم يتعهد بتقديم أي خدمات للإمبراطور، أما أتباعه فقد يتطلب منهم عمل ذلك. كذلك ليس من حق الإمبراطور أن يشارك في توزيع الإقطاعات، وإنما يتحمل هذه المسؤولية لجنة مشتركة أو مختلطة من الصليبيين والبنادقة، ويكون لازماً على الإمبراطور أن يوفر الجيوش الضرورية والمعدات الحربية بالإضافة إلى ما يستطيع أصحاب الإقطاعات تقديمه من جنود(١٤).

وكان البارونات قد حددوا جانباً من آسيا الصغرى وشبه جزيرة المورة (البيلوبونيز) كجائزة لترضية المرشح الذي لا يستطيع الفوز بالعرش، ولكن بونيفاس طالب بدلاً من تلك المنطقة بمملكة سالونيك أو سالونيكا، ومما لا شك فيه أنه كان يضع في اعتباره ادعاء عائلته (في ملكيتها)، ومن المحتمل كذلك لأنها قريبة من حدود صهره ملك المجر الذي تزوج من اخته(١٥). ولقد عجل مطلب بونيفاس هذا بحدوث نزاع خطير مع بلدوين الذي لم يعر مطلب بونيفاس اهتماماً وأصدر مرسوماً امبراطورياً يؤكد الحقوق البيزنطية التقليدية الإقليمية في سالونيك، حتى لا يدخلها بونيفاس. ورداً على هذا طلب بونيفاس من سكان مدينة ادريانوبل اليونانيين (البيزنطيين)، عن طريق مرجريت المجرية. أن يقبلوا أو يعينوا واحد من أبناء اسحق انجيلوس الاثنين كإمبراطور.

على أن الحرب التي قامت في تراقيا بين اثنين من القادة الصليبيين (أي بلدوين وبونيفاس) هددت مركز اللاتين في المنطقة تماماً. وما لبث أن أرغم كل من بونيفاس وبلدوين على أن يقبلا

التحكيم في صراعهما بضغط من الدوج والبارونات. ومنحت سالونيك بونيفاس بواسطة لجنة برلمانية مشتركة من الصليبيين والبنادقة(١٦). ومن المحتمل أن مساعدة البنادقة للمركيز كانت من أجل أن يوافق المركيز على بيع جزيرة كريت للدوج، والتي كان الكسيوس الرابع قد وعد بها بونيفاس منذ فترة طويلة. وبذلك احبطت البندقية محاولات جنوة عدوها الرئيس والتي كان ممثلوها يتفاوضون أيضاً من أجل جزيرة كريت.

وكان قيام مملكة في سالونيك، وشراء البنادقة جزيرة كريت من المعالم الأولى لاستقرار إقليمي جديد. وفي أكتوبر ١٢٠٤م تم تقسيم الأراضي البيزنطية كلها وفقاً لاتفاق رئيس ثاني، وعهد بهذه المهمة إلى لجنة تتألف من أربعة وعشرين عضواً، اثني عشر من البنادقة ومثلهم من غير البنادقة (أي من الصليبيين)(١٧) وقسم هذا الاتفاق الإمبراطورية البيزنطية إلى ثلاثة أقسام كبرى: قسم للإمبراطور اللاتيني (ويشمل الربع)، وقسم للبنادقة، وثالث للصليبيين من غير البنادقة. وهي ثلاثة أثمان لكل على حدا. وقسمت حصة كل فريق إلى جزء يقع بالقرب من القسطنطينية وآخر بعيداً عنها.

وحصل الإمبراطور على قطعة من الأرض شبه مثلثة بجوار العاصمة وهي امتداد القسم الشرقي لتراقيا، وتشمل القسطنطينية نفسها، وشريط من ساحل البحر الأسود ممتداً إلى أقصى الشمال حتى مدينة أجاثوبوليس Agathopolis، وشريط من ساحل بحر مرمرة يمتد تقريباً غرباً حتى هرقلة. وحصل البنادقة على الجزء الباقي من ساحل بحر مرمرة بداية من هرقلة حتى شبه جزيرة غاليبولي؛ وعلى الشريط الإقليمي الممتد في الداخل ليشمل ادريانوبل.

أما الصليبيون من غير البنادقة فقد حصلوا على رأس شبه جزيرة غاليبولي والأراضي الواقعة في تراقيا على جانبي الشريط الإقليمي الذي حصل عليه البنادقة والممتد من مرمرة وحتى ادريانوبل. وجنوب الجزء الممتد، امتدت ممتلكاتهم غرباً على طول بحر إيجة حتى حدود مملكة سالونيك (ماريتسا The Maritsa)، وحصل الصليبيون شمال الجزء الممتد على جزء صغير فيما بين الأراضي الإمبراطورية والبندقية.

وحصل الإمبراطور -خارج العاصمة- على آسيا الصغرى مع جزر بحر ايجة مثل ليمنوس، ليسبوس، خيوس، سكيروس، وساموتراقيا وتينوس(١٨). وحصلت البندقية على كل الساحل الشرقي للادرياتيك، شاملاً أماكن في داخل البانيا وابيروس، كما حصلت على الجزر الأيونية، وكل شبه جزيرة المورة، وكل شاطئ خليج كورنثة وسلاميس Salamis ونقاط على نهايات ايبويا Euboea (وهي جزيرة نيجروبونت) وايجينا Aegina وجزيرة أندروس الإيجية(١٩).

وحصل الصليبيون على مقدونيا فيما وراء نهر الفردار Vardar وبحيرة برسبا **Prespa**، وعلى تساليا شاملة خليج فولوس Volos التجاري الهام واتيكا. ورغم أن نص الاتفاقية كافأهم

أيضاً بالدوديكانيسوس «Dodecanisos» وهذه لا تشير إلى الجزر التي نسميها نحن الآن (دوديكانيز Dodecanese) ولا إلى السيكلاديز (ناكسوس، باروس، ديلوس . . . ألخ)، ولكن تشير إلى جزيرة Ahil في برسبا الصغيرة little Prespa في مقدونيا(٢٠) . والسكلاديز التي تذكر بشكل محدد في الاتفاق يبدو أنها ظلت مؤقتاً دون أن تقسم أو توزع . وكذلك لم تذكر الاتفاقية الإقليم الواقع بين ماريتسا Maritsa والفردار . فهذه كانت تشكل مملكة بونيفاس الجديدة في سالونيك . حقاً لقد كان اللاتين ذوي جرأة ووقاحة، ولكن لم تكن مثل جرأة ووقاحة نيقتاس خونياتس Nicetas Choniates -المؤرخ اليوناني الوطني- الذي يتهمهم بأنهم قسموا ليديا وفارس والقوقاز، غير أن ذلك لا يظهر في نص التقسيم لاتفاق أكتوبر ١٢٠٤م .

وبعد التوقيع على الاتفاق، حصل بلدوين على العديد من الاقطاعات، ونعلم أن شقيقه هنري حصل على ادراميتوم Adramyttium في آسيا الصغرى، وحصل بطرس براشيو على مملكة في مواجهة قونية، وحصل لويس بلوا على دوقية نيقية، أما استيفن برش فقد حصل على دوقية فيلادلفيا . أما في الجانب الأوروبي فقد حصل فارس هينولت رينيه تريت Trit على مدينة فيليبوبولس (Philippolis (Plovdir) حتى نهر ماريتسا على الحدود البلغارية . وحصل هيج من القديس بولس على مدينة تراقيا في ديموتيقا Demotica . وكان كل اقطاع يقدر بحسب مصروفات عدد من الفرسان وتكاليفهم، وكانت الوحدة الأساسية لقيمة الأرض ما يعادل ٣٠٠ جنيه انجوي Livres of Anjou، لذلك راح المحضون أو التعداديون يستعلمون عن الدخول والإيرادات المحلية .

لقد كانت اتفاقية التقسيم وتوزيع الاقطاعات علامة على انتقال الاقطاع اللاتيني ونظمه إلى الأرض البيزنطية، وإن كان النظام الغربي قد أدخل بالفعل بكل أساسياته على أيدي البيزنطيين أنفسهم؛ رغم أنه لم يكن وراثياً ولم يخضع لتقسيم إقطاعي . فالبرونويا(٢١) Pronoia كانت إقطاعاً من كل الأوجه الأخرى وكان الفلاحون البيزنطيون أقنان فيها . ولدينا دليل قوي على أن اليونانيين (البيزنطيين) في الريف كانت لديهم الرغبة في قبول سادة جدد، ففي مدينة فيليبوبولس رحبوا برينيه تريت Renier Trit واتخذوه سيداً لهم . وفي طيبة Thebes هلل القوم لمقدم بونيفاس مونتفرات «وكأنه عاد بعد غياب طويل» . وفي آسيا الصغرى، خرج أهل لوباديوم Lopadium بالأناجيل والكتب المقدسة والصلبان للقاء بطرس براشيو . وفي ادراميتوم Adramyttium أحضر الفلاحون المحليون طوع إرادتهم محاصيلهم وقدموها لهنري أخي بلدوين، وأمدوه هو ورجاله بالطعام .

ونتيجة للطمع وسوء المعاملة اللاتينية -كما تؤكد لنا المصادر اللاتينية ذاتها- تحول الفلاحون اليونانيون (البيزنطيون) ضد سادتهم الجدد، الذين أثبتوا في كثير من الأحوال -أنهم أسوء من سادتهم القدامى- والواقع أن اليونانيين غالباً ما وجدوا سيدهم البيزنطي الأول قد ثبته الفاتحون

في أراضيه . وعلى الرغم من الكراهية والنفور المتبادل بين اللاتين واليونانيين بصفة عامة، فإن هناك إحساس عام بأن مصلحة مشتركة تربط النبلاء من كلا الجانبين معاً في بعض الأحوال .

وتطور نظام الدولة اللاتينية الجديدة المولدة من خلال المعاهدتين الموقعتين في مارس وأكتوبر عام ١٢٠٤م، ثم اكتمل بوضع لمساته الأخيرة خلال العامين التاليين . وعندما توفي هنري داندولو العجز في مايو ١٢٠٥م اجتمع البنادقة في القسطنطينية دون انتظار لأمر من البلاط الإمبراطوري وانتخبوا مارينو زينو Marino Zeno كرئيس لهم، وحمل اللقب الجديد وهو بوديستا Podesta (٢٢)و Dominator أي سيد ربع ونصف ربع لإمبراطورية رومانيا(٢٣) .

وقد اتبع زينو نظام الإدارة المعمول به في البندقية، فأحاط نفسه بالقضاة والمستشارين، كبير الحجاب، وأصدر مرسوماً يمنع أي بندقي في الإمبراطورية من أن يتنازل عن أملاكه الخاصة إلا لبندقي آخر . وكان سلوك زينو وتصرفه مستقل أيضاً لدرجة أن السلطات في الدولة (البندقية) راحت تصرف شؤون مستعمراتها وتهتم بها حتى لا يظهر أصحابها عدم التبعية لها .

وطلب رينيه داندولو Renier Dandolo الذي كان يعمل كنائب عن الدوج في البندقية، أثناء غياب والده- بل وتسلم تأكيدات بذلك، فقد كتب له زينو Zeno بأنه لا ينوي أبداً أن يتحدى سلطة البندقية، وأضاف بأن البنادقة في القسطنطينية سوف يقبلون أي شخص معين كبودستا يمكن أن ترسله السلطات البندقية .

وبعد اختيار بطرس زياني Peter Ziani (أغسطس ١٢٠٥م) كدوج، طلب من زينو أن يتنازل للبندقية عن المنطقة الواقعة على ساحل أبيروس والمحددة في اتفاقية التقسيم للدوج . وهذه المنطقة الاستراتيجية لم تكن قد فتحت بعد، وكان يجب أن توضع مباشرة تحت سيطرة السلطات البندقية أو من أي دولة حليفة لها لا ستطيع أن يخرج لبفتح أي من جزر بحر ايجة أو الأقاليم البيزنطية التي كانت تابعة سابقاً للإمبراطورية البيزنطية؛ ويستطيع أن ينقل أملاكه لورثته من بعده(٢٤) . ولم يذكر المرسوم المستوطنة البندقية أو البودستا في مدينة القسطنطينية . وهكذا حدد زياني من خلال هذين الإجرائين السلطة المطلقة للمدينة الأم . وانتقل تدريجياً لقب سيد ربع ونصف ربع رومانيا dominator من البودستا في القسطنطينية إلى الدوج نفسه .

وفي عام ١٢٠٧م أحل زياني محل زينو بودستا جديد، ثم أرسل الدوجات بعد ذلك بانتظام البودستات من البندقية بعد أن يطلب منهم أولاً أن يقسموا يمين الولاء(٢٥) والطاعة لمساندة وتأييد البندقية، وأن يطيعوا كل أوامر الدوج ومجلسه وأن يعمل كل منهم كقاضي مدني وجنائي، وأن ألا يجري أي اتصالات دبلوماسية بدون موافقة مجلسه، وأن يوزع ممتلكات القومون(٢٦) بموافقة مجلسه فقط، وأن يدفع ما عليه من ديون، وألا يطلب أكثر من الخدمات المستحقة له . وكان يجب أن تكون هذه الشروط واضحة أمامه كنذير له حتى لا يتطلع للحصول على سلطة أكبر من سلطته .

بالرغم من وجود فجوات كبيرة في سجلاتنا إلا أننا نعرف أنه تولى منصب البودستا خلال السنوات الواقعة بين تولي زينو ١٢٠٧م وطرد اللاتين من القسطنطينية ١٢٦١م ستة عشر بودستا. وفي كل أزمة من الأزمات الهامة، كنا نجد البودستا يعمل كرئيس للمستوطنة وكنائب مخلص عن الدوج.

وبينما كان زينو بودستا وقَّع في أكتوبر ١٢٠٥م معاهدة أخرى هامة مع هنري شقيق بلدوين(٢٧) الذي كان يعمل كسيد ووصي على الإمبراطورية بعد وقوع بلدوين أسير في أيدي البلغار(٢٨).

وتقرر في هذا الاتفاق أنه في حالة موافقة الإمبراطور ومجلس البودستا والبارونات على القيام بحملة، فعلى جميع الفرسان سواء إن كانوا بنادقة أم غير بنادقة (فرنجة) أن يؤدوا الخدمة العسكرية أو يشتركوا في الحملة من أول يونية حتى ٢٩ سبتمبر. أما إذا ما تعرضت الإمبراطورية لهجوم خارجي، فعلى الفرسان أن يستمروا في أداء الخدمة، حسب المدة التي تتطلبها الحرب، وطبقاً لقرارات المجلس المؤلف من الجهات المذكورة اعلاه.

وكان على الإمبراطور أيضاً أن يتبع نصيحة المجلس السابق، ما دام قد تسلم ربع الإمبراطورية، وليس على الإمبراطور أن يعاقب أي فرد لانتهاكه القواعد العسكرية، بل على الفرنجة والبنادقة أن يعينوا قضاة -يجب أن يرضى عنهم الإمبراطور- طبقاً لأمر المجلس السابق. للبت في مثل هذه الأمور.

وأجبرت هذه الاتفاقية الجديدة البنادقة -ولأول مرة- على أن يحاربوا من أجل الإمبراطورية، وذلك بوضع بند الخدمة العسكرية الذي قوى موقف الإمبراطور وعضوه. فقد كان الإمبراطور تابعاً لذوي المكانة الرفيعة الذين عرفناهم، ولكن نص الاتفاقية الجديدة يكشف شكل الهيكل الذي أصبح مسؤولاً عنه. ويتألف المجلس الآنف الذكر -والمحدد في المعاهدة- من البودستا البندقي ومجلسه، ومن البارونات غير البنادقة، وشكل هذا الهيكل المولد من اندماج أنظمة محلية مع أنظمة إقطاعية فرنسية -ما يسمة بمجلس الإمبراطورية اللاتينية، ويمكن مقارنته بمحكمة بيت المقدس العليا(٢٩)- والتي غاب عنها بطبيعة الحال العنصر البندقي، وعلاوة على ذلك فإن محكمة بيت المقدس العليا، استمعت بنفسها إلى عدة قضايا، بينما في الإمبراطورية اللاتينية بالقسطنطينية، عين البنادقة وغير البنادقة معاً قضاة للنظر في ذلك وفقاً للنظام البندقي أكثر من الممارسة الإقطاعية.

وفيما بعد وبعد أن يتوج أي إمبراطور لاتيني كان يطلب منه أن يقسم اليمين على أن يحافظ على كل شروط المعاهدات الثلاث الأساسية وهي: - معاهدة ١٢٠٤م، معاهدة التقسيم في أكتوبر ١٢٠٤م، وهذا الاتفاق الجديد في أكتوبر ١٢٠٥م. وكان على هنري نفسه الذي أقسم وهو وصي أو سيد Moderator على أن يرعى امتيازات البنادقة، كان عليه أن يقسم ثانية قبل

تتويجه في ٢٠ أغسطس ١٢٠٦م على أن يحافظ على نصوص هذه الوثائق الثلاث. وقد أدى اليمين أمام المذبح الكبير في كنيسة آيا صوفيا في حضور زينو والمندوب البابوي والبطريرك اللاتيني.

أما بالنسبة للبنادقة فقد كونت هذه الوثائق الثلاث دستور الدولة الجديدة ولم يضيعوا أية فرصة ليذكروا فيها شركائهم الأباطرة اللاتين بطبيعة التزاماتهم المتبادلة والواضحة والمحددة.

وفيما يتعلق بالمصالح والشؤون اليومية، فقد نظم اتفاق آخر اللوائح والمسائل المالية التي قد تثار بين البنادقة والفرنجة في مدينة القسطنطينية(٣٠). وتتضمن أهم بنوده: أن أي فرد من أي من الجانبين يمكنه المطالبة بحقوقه من أي فرد آخر من الجانب الثاني، وذلك بتقديم شاهد يمت بصلة إلى جنسية صاحب الدين، ويقسم الشخص الذي يحمل نفس جنسيته أن من حقه المال الذي لدى الطرف الآخر أي المدين. وهذا يعني شاهد بندقي مقابل بندقي مدين، وفرنسي أو افرنجي مقابل افرنجي. وقد قدم هذا دليل لأول مرة على أن الحق يجب أن يعود إلى صاحبه؛ وأن المصالح بين البنادقة والفرنجة كانت نشطة، وأن الرابطة القومية كانت قوية ومتينة عند كل فريق.

وكانت معاهدة مارس ١٢٠٤م قد نصت على أن الفريق الذي يفشل في اختيار الإمبراطور يعين منه رجال الدين لكنيسة آيا صوفيا، ويختار منهم بعد ذلك بطريركا لاتينيا، وإن كان ذلك يعتبر غير قانونياً أو شرعياً بدرجة كبيرة بالنسبة للمستقبل الكنسي في الإمبراطورية اللاتينية الجديدة. وبعد فترة وجيزة من اختيار بلدوين الأول، مارس البنادقة حقهم وعينوا رجال الدين البنادقة، وهؤلاء انتخبوا بدورهم توماس موروسيني Thomas Morosini بعد ذلك ليكون بطريركياً لاتينياً، ولم يكن توماس مجرد مساعد شماس فحسب بل كان عضواً في عائلة بندقية نبيلة.

ولم يعلم البابا انوسنت الثالث بهذا الاختيار غير الشرعي إلا بعد بضعة شهور، وعندما علم به في بداية عام ١٢٠٥م لم يعترف به(٣١). ولكن ما لبث البابا أن أعلن تصديقه على انتخاب موروسيني ورقاه إلى مرتبة شماس، فقس، فأسقف، فرئيس أساقفة، بل ومنحه مزايا معينة من بينها مسح الملوك بالزيت(٣٢).

وفي حقيقة الأمر كان أنوسنت الثالث يفضل أن يرى عرش بطريرك القسطنطينية شاغراً، حتى تكون لديه الفرصة لأن يستخدمه كورقة في المفاوضات مع اليونانيين (البيزنطيين) من أجل الاتحاد بين الكنيستين؛ ولكنه كان مجبراً إذ كان في حاجة إلى مساعدة أكثر من البنادقة في الشرق. وقد استفاد من الأمر الواقع بأقصى درجة، ومن ثم قام حتى بتنقيح النظرية السياسية البابوية الدارجة حتى يعلي من مكانة البطريرك اللاتيني الجديد.

وكان معظم أسلاف أنوسنت الثالث -وبصفة خاصة منذ الانشقاق والقطيعة الكبرى ١٠٥٤م (٣٣)- قد تمسكوا بأن كل من روما الإسكندرية وأنطاكية فقط قد أسسها بطرس بطريقة

مباشرة أو غير مباشرة، وأنها تعد بطريركيات. أما الآن فقد آمن البابا بأن الكنيسة البيزنطية قد أسست في عام ٣٨١م، وأن القسطنطينية مثل روما الجديدة وأنها تحتل المكانة الثانية من الناحيتين الكنسية والعلمانية أو الدينية والمدنية. كما وافق أنوسنت الثالث على النظرية الخاصة بوجود خمس بطريركيات. فتضمنت خطاباته ذكر القسطنطينية، مع يوحنا الرسول الثاني الذي كان يعظ اليونانيين في آسيا، ومع النسر الذي يقف مع الحيوانات الأخرى في سفر الرؤيا Revelation قريباً من العرش فمثلاً كل من يوحنا والقسطنطينية، حيث كان النسر أعلى من الطيور الأخرى، وبالمثل كان يوحنا آخر وأعظم الرسل الحورانيين، لذلك فإن بطريركية القسطنطينية هي آخر ولكن أعظم البطريركيات، ومع ذلك فهي تدين بسموها إلى روما. وقد تبنى أنوسنت ما جاء من قرارات في مجمع القسطنطينية عام ٣٨١م بهذا الشأن(٣٤).

ثم أدخل ذلك فيما بعد ضمن القرار الخامس من قرارات مجمع اللاتيران الرابع عام ١٢١٥م(٣٥). وقد هيئت النظرية السياسية الجديدة بطريقة حسنة بحيث تلائم الوضع الجديد الذي أصبح فيه اللاتين يمتلكون القسطنطينية ملكية حقيقية، وبحيث يمكن استخدامها في تسهيل سياسة البابوية التي تهدف إلى حرب صليبية ناجحة ضد المسلمين، واتحاد الكنيستين اليونانية واللاتينية.

وواصل أنوسنت جهوده من أجل أن يكسب اليونانيين (البيزنطيين) حتى يوافقوا على سيادة روما وسموها، ففي ديسمبر من عام ١٢٠٤م، وبعد الفتح اللاتيني، استدعى مندوب البابا الكاردينال بطرس كابوانو Peter Capuano الإكليروس اليوناني في القسطنطينية، وأجرى معه نقاشاً في كنيسة آيا صوفيا، وكان النقاش طويلاً ولكنه لم يصل إلى قرار واضح حاسم؛ وبعده طلب بطرس من اليونانيين أن يمتثلوا للأمر(٣٦).

وفي عام ١٢٠٥م توقف الكاردينال بندكت -قس سانت سوزانا(٣٧)- وهو المندوب البابوي الجديد- في أثينا وسالونيك في طريقه إلى القسطنطينية، وأجرى مناقشات للصلح مع اليونانيين حول بعض المسائل الدينية المتنازع عليها مثل انبثاق الروح القدس، واستخدام الفطير غير المختمر في القداس(٣٨). واستخدم البابا أسلوب الاقناع خاصة وأنه كان يدرك الأثر البشع الذي تركه نهب القسطنطينية في نفوس البيزنطيين، وكتب يقول: «كيف تستطيع الكنيسة اليونانية وهل يتوقع منها أن تعود إلى حظيرة الكرسي الرسولي، بينما ترى اللاتين يضربون مثالاً للإثم، ويقومون بأعمال الشيطان وأفعاله، لذلك ولسبب معقول كان اليونانيون يكرهون اللاتين كراهيتهم للكلاب بل وأشد(٣٩).

وكان مورسيني مشاكساً، حاد الطبع، مما جعل الأمور أسوء مما كانت عليه، إذ تصارع مع جميع أتباعه اللاتين وتنازع معهم حتى مع بودستا البنادقة، وفي أول فرصة عطل الطقوس والشعائر اليونانية في جميع الكنائس في القسطنطينية، وذلك لأن رجال الدين اليونانيين رفضوا

أن يذكروا اسمه في طقوسهم، وكان ذلك يعد دليلاً على الاعتراف بالبطريرك اللاتيني. ولم يتكرر النقاش ولا المحاورات حول القضايا موضوع الخلاف والنقاش سواء أن كانت لاهوتية أم كانت غير ذلك. إذ أنه لم يعد بالنفع أو الفائدة(٤٠).

وولى اليونانيون وجههم شطر ممرات نيقية(٤١) حيث أصبح هناك إمبراطور يوناني (بيزنطي) جديداً، واصبح له بطريرك يوناني جديد حوالي عام ١٢٠٨م(٤٢). ومن ثم فقد هرب معظم الأساقفة اليونانيين من أبروشياتهم أو رفضوا تقديم الولاء والطاعة لموروسيني. أما الفئة القليلة التي قبلته ووافقت عليه، فلم توافق على ترسيمه طبقاً لطقوس ولشعائر الكنيسة اللاتينية لأن ذلك مما لا شك فيه سوف يولد فيهم شعوراً بان رسامتهم المبكرة لبطريركهم وفقاً للطقوس والشعائر اليونانية كانت غير قانونية؛ ومخالفة لتعاليم الكنيسة. وقد أمر البابا موروسيني بأن يغض الطرف عن هذه الرفض للرسامة الجديدة. وحتى في الحالات التي كان اليوناني يرفض فيها الخضوع والإذعان، كان يستدعي ثلاثاً قبل أن يصدر ضده قرار الحرمان وكان المندوب البابوي فقط هو الذي يستطيع أن يحل محله شخص لاتيني. وظل رجال الإكليروس اليوناني أو من هم دونهم يتزوجون ويقيمون أسرات (وكان على أبنائهم أن يؤدوا الخدمة العسكرية اللهم إلا إذا كانت لديهم أوامر بعد ذلك) كما ظلوا يدفعون ضريبة الأرض اليونانية The Akrosti;on للسلطات العلمانية.

ولم يستبدل اللاتين الأساقفة اليونانيين بأساقفة لاتين، ولأسباب مالية، مهدوا الطريقة تدريجياً لإقامة تنظيم ثابت وأساسي للسلطة الدينية البيزنطية في الكراسي المطرانية أو الأبروشية تجاه وكلاء مطارنة أبروشياتهم، وكذلك المطرانيات القائمة بذاتها بدون وكلاء من المطارنة. وأحياناً كانوا يقللون الكراسي المطرانية اليونانية الموجودة من من قبل أو السقفيات المطرانية، وينزلون بها إلى مستوى أسقفيات وكلاء المطارنة ومساعديهم. وأحياناً كانوا يرفعون إلى مستوى كراسي الأسقفيات -التي كانت في أيدي اليونانيين- والى مرتبة وكلاء أسقفيات فقط، وأحياناً كانوا يضعون وكلاء ومساعدي الأبرشيات أو الأسقفيات تحت سيطرة وسلطة الأسقفيات المطرانية البيزنطية والتي لم تكن تمتلك أي شيء فيما سبق. وأحياناً كانوا يؤسسون أسقفيات جديدة تماماً أو أسقفيات مطرانية(٤٣). ورسخت الديرية الغربية، وفرق الفرسان الرهبان، وتبع السسترشيان(٤٤) Cistercians الفرنسيسكان(٤٥) Franciscans بعد فترة قصيرة.

وأثيرت مناقشات حادة وخطيرة بين اللاتين أنفسهم حول المسائل الدينية، وقاوم البابا بشدة جهود البنادقة في العمل على احتكار البطريركية احتكاراً دائماً لأنفسهم. فقبل السماح لموروسيني بالمجيء أو بالقدوم إلى القسطنطينية، طلب منه البنادقة أن يقسم على ألا يقبل أبداً أي فرد من غير البنادقة كعضو في جماعة رجال الدين بكنيسة آيا صوفيا(٤٦)، وبالمثل أجبروا كل من يعين من رجال الدين البنادقة حديثاً أن يقسم كذلك على ألا يدلي بصوته مطلقاً لأي

شخص غير البطريرك البندقي. غير أن أنوسنت ضمن عن طريق مندوبيه تعيين عدد وإن كان قليلاً من غير البنادقة -من رجال الدين في كنيسة آيا صوفيا(٤٧) وأمر البابا بأن يقوم الـ Praepositi في ثلاثين من كنائس الفرنجة في القسطنطينية بالمشاركة بالتساوي مع جماعة رجال الدين البنادقة باختيار بطاركة المستقبل. وأجبر البابا موروسيني على أن يتبرأ من قسمه علانية

ولكن عندما توفي موروسيني في عام ١٢١١م، منع البنادقة الإكليروس الفرنسي بشدة من الاشتراك في الانتخاب الجديد، الذي كان يتم بالمشاركة بينهم وبين البنادقة؛ لذلك قام البابا بنفسه بتعيين البطريرك الجديد بعد أربع سنوات، واختار لهذا المنصب جيرفاس Gervase رئيس أساقفة هراقلية، وهو بندقي ولكن مرشح من قبل الجانب الفرنسي(٤٨). وبالمثل في عام ١٢١٩م (٤٩)-ناشدت جماعة الـ Praepositi الفرنسي الجديد المندوب البابوي يوحنا كولونا John Colonna بأن يخول لهم صوتاً في الانتخاب الجديد، وذلك حتى يبعدوه عن البنادقة. غير أن البابا الجديد هونوريوس الثالث Honorius III حسم المسألة بتعيين متى Matthew البطريرك الثالث(٥٠). وكان بندقياً أيضاً، وكان متمرداً شرهاً في حاجة ماسة إلى المال، فضلاً عن أنه مال إلى مصلحة أتباعه ورفاقه من البنادقة. وهكذا تمكن بنجاح كل من البابا أنوسنت الثالث، والبابا هونريوس الثالث ومندوبيهم من أن يحولوا بين البنادقة وبين ما كانت ترنو إليه أنفسهم. ولكنهم مع ذلك أضعفوا من سلطة البطريركية اللاتينية كتنظيم.

وتم التوصل إلى اتفاق جديد في عام ١٢٢٩م، تقرر فيه التنازل عن «واحد من ١١» من جميع الأملاك للكنائس، وأن الكنائس الكاتدرائية يجب أن تسترد أملاكها المفقودة. الأمر الذي يتطلب أن تدفع القرى الأقساط نقداً مثلما يؤخذ من الإيجارات؛ وألا تقسم إلى أحادي عشرات. وفي نفس الوقت قرر الاتفاق الجديد أن يعهد إلى اثنين من القساوسة في كل قرية بخمسة وعشرين مسكناً وعدد مناسب من المستوطنات الكبيرة. وسمح لليونانيين بأن يدفعوا «واحد من ثلاثين» بدلاً من العشر كاملاً. وفي عام ١٢٢٣م صدق البنادقة على الاتفاق، ووزعت الأحادي عشرات واستقرت مسألة الخلاف حول الأملاك الخاصة بالكنائس(٥١).

وعندما يتأمل الشخص في مصائر الدولة الصليبية وامتدادها والتي وصفنا نظمها الدينية والدنيوية العلمانية، وما احتوت عليه وشملته فإنه يوحي إليه بأن السقوط والانهيار كان أمراً حتمياً، فقد قامت على أرض أجنبية غريبة، ووسط عداوة اليونانيين (البيزنطيين) الذين سرعان ما جمع شملهم قادة منهم. كما أنها اعتمدت على سيل من الأموال والرجال الذين يتدفقون عليها من الغرب، وكان من الممكن أن ينقطع هذا السيل، فلا تصل الأموال ولا يصل الجنود في أي وقت. وكان يمكن للإمبراطورية اللاتينية أن تستمر وأن تحيا مع كل هذا، وفي هذه الحالة كان الأمر يتطلب من البنادقة والصليبيون أن يتبعوا فقط سياسة تتصف بالذكاء وبعد النظر، فكان في إمكان الفاتحين اللاتين أن يستغلوا الخلافات الاجتماعية العميقة الجذور بين اليونانيين، والتي

ساعدت في النهاية على انهيار الإمبراطورية البيزنطية وأن يدركوا أن مساعدة الفلاحين ضد سادتهم السابقين سوف تكسبهم شعبية في الريف، وإن كان ذلك غريباً بالنسبة للغربيين وكانوا لا يتوقعون إمكانية حدوثه، إلا أنه كان ممكناً. وحتى داخل إطار ما كان يمكن عمله، فشل اللاتين في أن يستغلوا معظم الفرص الدبلوماسية والسياسية والعسكرية التي تهيأت لهم ووضعت بين أيديهم

فقد رفض اللاتين العروض التي تقدم بها القادة الذين أسسوا الدولة الولاشو -بلغارية حديثاً، والتي باركها البابا أنوسنت الثالث بنفسه في عام ١٢٠٤م قبل أن يعرف بسقوط القسطنطينية(٥٢).

وكذلك دفع اللاتين هؤلاء الذين كان يمكن أن يصبحوا حلفاء لهم وأعداء أشد خطراً إلى الارتماء في أحضان اليونانيين (البيزنطيين)(٥٣). كذلك فشل اللاتين في أن يقدروا المزايا التي كان يمكن أن تعود عليهم جراء تحالفهم مع سلاجقة الروم في آسيا الصغرى. وكانت الحليف الوحيد للاتين هم المستوطنين الأرمن Troad.

ووجد اللاتين أنفسهم -بسبب سياستهم الدبلوماسية الخاطئة- مضطرين لأن يقاتلوا عدوين في وقت واحد اليونانيين في أوروبا وفي آسيا الصغرى، والدولة الولاشو -بلغارية ومعها قواتها المساعدة من الكومان في أوروبا. ولم يكن لدى اللاتين القوة البشرية الكافية للقيام بمثل هذه العمليات العسكرية، وكان يجب عليهم مراراً وتكراراً أن يؤجلوا الهجوم الذي يقومون به ليندفعوا عبر المضايق لمواجهة أي طارئ جديد. ونظراً لضعف السكان ووداعتهم ولينهم في مواجهة القوة الفائقة للعدو، إلا أن اللاتين لم يستطيعوا أبداً التأكد من أن المدينة التي يفتحونها سوف تظل مفتوحة، إذ غالباً ما كانوا يفتحونها عدة مرات. وفهم اللاتين ببطء التكتيكات العسكرية للكومان، فسمحوا لأنفسهم بأن يعدوا الكمائن باستمرار، وراحوا يعدون لعمليات حصار وهمية شكلية، ولكن بعد أن ذبحوا على أيدي خيالة سريعة الحركة مجهزة بالسهام، وفقدوا الكثير من الرجال.

وكان لدى أعدائهم ما يعوضون به ما يفقدونه من رجال في المعارك، أما هم فلم يكن لديهم، فضلاً عن ذلك فقد كان لدى اليونانيين فرق من القوات المساعدة من اللاتين، وعادة ما كانوا من خيرة قواتهم، كان بعضهم من المرتزقة الإنجليز أو الاسكندنافيين، وكانوا يعملون في خدمة بيزنطة من قبل، ومنهم من استمروا في خدمة اليونانيين حتى بعد ضياع العاصمة البيزنطية، وآخرين تخلوا عن قوات الإمبراطورية اللاتينية غير راضين عن مكافأتهم، وصموا آذانهم عن كل إنذار أو تحذير بابوي.

وبعد فترة قصيرة من ضياع القسطنطينية، أصبح لدى اليونانيين في الإمبراطورية البيزنطية ثلاثة من القادة، كان عليهم أن يختاروا رئيساً وقائداً من بينهم. ففي إبريل من عام ١٢٠٤م

سقطت طرابيزون(٥٤) على أثر حملة قادها كلاً من الكسيوس ودافيد (داود) كومنين، حفيدا الإمبراطور اندرونيق الأول كومنين (١١٨٢-١١٨٥م)، واللذان عاشا في البداية في كنف عمتهما تامارا Tamara (٥٥) ملكة جورجيا وتحت رعايتها. واستمر دافيد كومنين في فتوحاته غرباً بحذاء ساحل البحر الأسود، واستولى على Oenoe وعلى سينوب -التي حددت أو خصصت لبلدوين وفقاً لاتفاقية التقسيم- ومد حدود دولة Trapezuntine حتى هراقلة Pontic Hereclea؛ مما جعله يحتك باللاتين(٥٦).

وكان القائد الثاني من بين القادة اليونانيين الجدد هو ثيودور لاسكاريس(٥٧) صهر الكسيوس الثالث. وفي لحظة دخول الصليبيين القسطنطينية دخول المنتصر، وبعد فرار الكسيوس الخامس مورزوفولوس Mourtzouphlus، أقيم في الحال احتفال في كنيسة آيا صوفيا، وفيه اختير ثيودور إمبراطوراً تفضيلاً له عن منافس يدعى ثيودور دوقاس(٥٨)، ولكن رفض ثيودور قبول هذا المنصب، وعبر الممرات إلى آسيا الصغرى، أقنع سكان نيقية(٥٩) بأن يأووا زوجته وبناته الثلاث، وانطلق إلى بروسا(٦٠) مركز القيادة التركية، وتوصل إلى تفاهم مع السلاجقة، واستطاع أن يهزم ثلاثة من الأمراء الذين حكموا الإقليم الثائر أو المتمرد في وادي الميندر. وعندما عين بطريرك يوناني جديد في عام ١٢٠٨م، قام بتتويج ثيودور إمبراطوراً، واتخذ ثيودور من نيقية عاصمة له.

أما القائد اليوناني الثالث فهو ميخائيل دوقاس انجيلوس كومنين وكان ابناً غير شرعي لموظف بيزنطي كبير، وكان قد ترك خدمة بونيفاس مونتفرات الذي كان يعمل معه فجأة، وذهب إلى ارتا Arta جنوب ابيروس، حيث تزوج من ابنة الحاكم المحلي بها، وأصبحت له أملاك واسعة هناك(٦١).

وبالإضافة إلى هؤلاء الحكام المحليين الثلاثة، فقد فر الإمبراطوران السابقان الكسيوس الثالث اجيلوس، والكسيوس الخامس دوقاس مورزوفلوس، ونجح الكسيوس الثالث في أن يضم إليه صهره الأعمى الكسيوس الخامس، وبعد سلسلة من المغامرات، اتخذ الأول طريقه إلى قونية، حيث استخدمه السلاجقة لفترة من الوقت كمصدر لتهديد صهوة الآخر ثيودور لاسكاريس(٦٢).

وفي عام ١٢٠٤م ومنذ سبع سنوات كانت الدولة الولاشو -بلغارية في قبضة جوانيتزا joannitsa أو كالوجان Kalogan القوية (١١٩٧-١٢٠٧م) الأخ الأصغر لاثنين من المتمردين أو الثائرين الولاش الذين أسسوها في عام ١١٨٦م. ويدعي هؤلاء أنهم ينحدرون من نسل حكام الإمبراطورية البلغارية الأولى. وقد طلب يوانيتزا من البابا أنوسنت الثالث أن يتوجه إمبراطوراً، مثلما كان يفعل البابوات السابقين مع أسلافه، وأن يرسم رئيساً للكنيسة البلغارية ليكون بطريركانياً، فأرسل أنوسنت مندوباً -كردينالاً يدعى ليو قام بتتويج Ioannitsa ملكاً،

وليس إمبراطوراً، كما جعل باسل Basil رئيساً للأساقفة وليس بطريركاً (نوفمبر ١٢٠٤م).

وكتب الحاكم الولاشي للبابا بعد أن علم بالفتح اللاتيني: «أكتب للاتين أن يبتعدوا عن إمبراطوريتي فإن فعلوا ذلك، فسوف لا تمسهم إمبراطوريتي بأي أذى . . . ولكن إذا قاموا بمحاولة للنيل منها، وقتل بعضهم، فلا تدع قداستك تشك في إمبراطوريتي، لأنها سوف لا تكون غلطتي»(٦٣). وحاول جوانيتزا أن يرتبط بعلاقات ودية ومودة مع اللاتين، ولكنهم رفضوا عروضه بشدة وتكبر، لذلك ارتبط بعلاقات ودية مع النبلاء اليونانيين في تراقيا، ووضع جيوشه تحت إمرتهم وتصرفهم، تلك الجيوش التي رفضها اللاتين أيضاً. وكانت حمامة السياسة اللاتينية مزدوجة إذ رفض اللاتين كذلك عرض التحالف الذي تقدم به إليهم كيخسرو الأول السلطان السلجوقي وهو في المنفي، والذي سرعان ما استرد سلطته وعاد إلى قونية.

ولم تظهر نتائج هذه السياسة اللاتينية الحمقاء لهم في الحال، فقد كانت الحملات الأولى التي قام بها اللاتين، في خريف وشتاء عام (١٢٠٤-١٢٠٥م) في آسيا الصغرى، حملات ناجحة. ورغم أن الفرق الصليبية تأخرت في بروسيا، إلا أنها حققت انتصارات حاسمة على الاسكاريس(٦٤)، وتحالفوا مع الأرمن في ترواد Troad، وحاصروا مراكز قوية، وألقوا القبض على الكسيوس الخامس مورزوفلوس الأعمى، وأرغموه على أن يتسلق عموداً كبيراً مقاماً في ساحة ثيودوسيوس، وان يقفز من اعلاه ليلقى حتفه. كما اعلن داندولو في هراء ومزاج عابس: «ينبغي أن تتناسب جلالة القضاء مع عظة الرجل»(٦٥). ومنذ ذلك الحين أطلق اللاتين على هذا العمود اسم «وثبة مورزوفلوس Mourtzouphlus's Leap»

وعلى الجانب الأوروبي حصل رينيه تريت Renier of Trit على دوقية فيليبوبوليس، ووصلت إمدادات من بلاد الشام إلى القسطنطينية(٦٥) واتجه بونيفاس مونتفرات من سالونيك جنوباً عبر تساليا إلى طيبة وأثينا، وشيد قلعة على جسر عبر ممر مائي حتى ايوبويا Euboea. وفي كورنث دفع الحاكم المحلي ليوسيجوروس Leo Sgourus إلى داخل القلعة، وأعد حملة لحصار كورنثة ونابولي Nauplia بنفسه(٦٧). ورسا ابن المؤرخ والمارشال جودفري فلهاردون الأصغر في مودون Modon (٦٨)، وبدأ فتح المورة(٦٩).

وحاصر ماركو سانودو Marco Sanudo، ابن أخ الدوج، جزيرة ناكسوس Naxos، مفتاح السكلاديز(٧٠)، وفتح بعد عامين بحملة ثانية الجزر التي تركت دون أن تحدد لأحد طبقاً لاتفاقية التقسيم، والتي قام هو بتوزيعها كإقطاعات. وحصل سانودو نفسه من الإمبراطور اللاتيني هنري على لق«دوق البحر الإيجي أو دوق الأرخبيل» واستمر إقطاعه «أكثر الاقطاعات وفرة من إقطاع أي بارون في روما».

وعلى الرغم من هذا النجاح وتلك الانتصارات التي حققها اللاتين، إلا أنه في عام ١٢٠٥م بدأت أول سلسلة من العقبات، إذ حاصر جوانيتزا Joannitsa وحلفاءه من اليونانيين كل من

ديمونيقيا Demotica وادرنة، إذ أساء الحكام البنادقة الجدد معاملة رعاياهم من اليونانيين، وما لبثت الثورة أن عمت تراقيا كلها(٧١). وما لبث رينيه تريت أن انسحب بقوة صغيرة نحو قلعة Stenimaka في داخل بلغاريا بعد أن تركه معظم رجاله(٧٢).

ولم ينتظر بلدوين وصول اللاتين الذين استدعوا من آسيا الصغرى لضرورة ملحة، وضرب الحصار على ادرنة (ادريانوبل). وسرعان ما جاء جوانيتزا على رأس قوة كبيرة لإنقاذها ورفع الحصار عنها(٧٣). وأوقع الرماة الكومان باللاتين واقتصوا منهم وأنزلوا بهم أقصى ألوان العقاب، فقد صدرت الأوامر بأنه من الآن فصاعداً يجب على أي شخص ألا يبتعد عن ميدان المعركة الرئيس ولكن نسي الكونت لويس بلوا هذا الأمر، وتعقب الخيالة الكومان عندما زحفوا ثانية وتبعه الإمبراطور بلدوين، فقتل لويس، وأسر بلدوين(٧٤). وبناء على اقتراح داندولو، تركوا النيران والقناديل مضاءة في خيامهم، وهربت بقية الجيوش اللاتينية ليلاً؛ وأبحر بعضهم إلى الغرب في ذعر وفزع(٧٥).

وسرعان ما وصل هنري شقيق بلدوين من آسيا الصغرى ومعه الإمدادات التي كانوا في حاجة إليها، على وجه السرعة، وكان يصطحب معه مشاة من الأرمن غير أن اليونانيين قاموا بذبح هؤلاء الأرمن وأسرهم(٧٦). وقام بقية اللاتين بتعيين هنري وصياً على الإمبراطورية. وسرعان ما مات داندولو المسن في (مايو ١٢٠٥م)(٧٧).

ولجأ هنري لطلب المساعدة من البابا انوسنت الثالث(٧٨)، الذي نصحه بضرورة عقد الصلح مع جوانيتزا (ولم يكن ذلك أمراً سهلاً أو هيناً) وهدد البابا جوانيتزا بأن جيشاً كبيراً من اللاتين سوف يأتي لمساعدة القسطنطينية، كما طلب البابا من جوانيتزا أن يطلق سراح بلدوين؛ ولكن لم تأت الجيوش من االغرب.

وفي صيف عام ١٢٠٥م انسحب الكومان لأنهم لم يستطيعوا تحمل الحر، وتحرك جوانيتزا غرباً تجاه مملكة بونيفاس في سالونيك(٧٩). وبذل هنري ما وسعه الجهد من أجل فتح تراقيا ولكن بدون جدوى. وفي فيليبوبوليس عرض البيالصة(٨٠) في هذه المدينة على جوانيتزا خضوعها وتسليمها، لذلك خرج رينيه تريت من قلعته (بهذه المدينة) وأحرق حي البيالصة، وتكاتف يونانيو المدينة مع لاتين رينيه، وأرغموا بذلك جوانيتزا على أن يحاصر المدينة التي كان يتوقع أن يستولي عليها بلا مجهود. وما أن أدرك جوانيتزا -خيانة اليونانيين له حتى قام بإحراق مدينة فيليبوليس، وذبح سكانها من اليونانيين.

وخلال شتاء عام ١٢٠٥م وربيع عام ١٢٠٦م كان (القيصر البلغاري) بعد حملة مفزعة لمهاجمة تراقيا، ودمر وخرب معظم المدن، وقضى على السكان اليونانيين، واتخذ لقب (سفاح الرومان) ليجعل نفسه شبيهاً بالإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني (سفاح البلغار). ولإبعاد خطر جوانيتزا وافق اليونانيون الخائفون في كل من ديموتيقا وادرنة على أن يعترفوا بثيودور براناس Theodore

Branas سيداً ورئيساً أعلى وهو حاكم يوناني قوي، عمل في خدمة اللاتين، تزوج من اجنس Agnes (٨١)، وهي أميرة من البيت الملكي الفرنسي، وأرملة الكسيوس الثاني وقاتلة اندرونيق الأول. وقد تنازلت البندقية لبراناس رسمياً عن حقوقها في أدرنة، وقام براناس من جهته بحماية جميع البنادقة، كما قام بتجنيد خمسمائة محارب، وجعلهم في خدمة الجيوش اللاتينية. ونتيجة لذلك فشل حصار جوانيتزا لديموتيقا، وتعقب هنري وقواته الولاش، الذين فروا إلى أعماق بلغاريا(٨٢).

وأنقذوا رينيه تريت الذي كان محاصراً في قلعته Stenimaka (٨٣) وعلموا منه أن بلدوين قتل في الأسر. ووفقاً لما ذكره نيقتاس خونياتس فإن جوانيتزا أمر بقتل بلدوين شر قتلة، لأنه كان غاضباً بشدة من التحالف الذي حدث بين اللاتين واليونانيين في فيليبوبوليس، وإحراق الحي الخاصة بالبيالصة، أما آخر تقرير لأكروبوليتا Acropolites فيقول بأن جوانيتزا قطع رأس بلدوين، وأفرغ جمجمته وزينها بالحلي والمجوهرات كي يستخدمها كأساً للشراب، وربما كان جوانيتزا يحاكي بذلك سلفه المشهور كروم الذي فصل نفس الشيء بجمجمة الإمبراطور البيزنطي نيقفور الأول. أو ربما أراد أكروبوليتا بالموازنة بين وقوع كل من نقفور وبلدوين في أيدي البلغار -ابتكار قصة ذات فحوى ومغزى أدبي، على أية حال، فإننا نستطيع أن نقول بلا شك أن بلدوين مات أو قتل في الأسر، فقد أخبر جوانيتزا الباب أنوسنت الثالث بنفسه في خطاب له، بأنه لن يستطيع أن يطلق سراح بلدوين لأنه مات في الأسر. وهذه النقطةعلى درجة من الأهمية، فقد ظهر في فلاندرز وهينولت في عام ١٢٢٥م «بلدوين زائف» وأعلن نفسه زعيماً لثورة محلية. ويرى بعض المؤرخين أنه كان بحق إمبراطوراً، ولكن مصادرنا الخاصة بشئون الشرق تجعل هذا الأمر مستحيلاً وغير ممكناً. وبعد عشرين عاماً عندما مات كونت الفلمنج التعساء، ضحايا الظلم الفرنسي والحكومة السيئة، تصور هؤلاء بأن بلدوين سوف يعود(٨٤).

وسرعان ما وصل إلى الصليبيين في القسطنطينية في عام ١٢٠٦م معلومات صحيحة ومؤكدة بأن بلدوين قد مات، لذلك تم اختيار هنري خليفة له. وقام موريسيني بتتويج هنري في كنيسة آيا صوفيا في ٢٠ أغسطس عام ١٢٠٦م(٨٥) وأثبت هذا الإمبراطور اللاتيني الثاني أنه يتمتع بصفات شخصية غير عادية إذ استطاع بمفرده أن ينتفع من الوضع المتهور للإمبراطورية ويستغله لصالحها(٨٦).

فبعد عشرة أيام من تتويجه، أجبر هنري جوانيتزا على أن يرفع الحصار عن ادريانوبل، وتعقب القوات الولاشية حتى داخل بلادهم(٨٧)، وارتبط بعلاقات ودية مع دافيد كومنين وساعده ضد ثيودور لاسكاريس وهاجم اللاتين وأهل طرابيزون نيقوميديا معاً، وحالوا بين ثيودور وبين الهجوم على Pontic Heraclea، لذلك منع ثيودور اللاتين من عبور الممرات والمضايق، مما دفع دافيد إلى إرسال المساعدات إلى القسطنطينية، وقبل

أن يصبح فصلاً لهنري وتابعاً له .

واستولى اللاتين خلال شتاء ١٢٠٦ - ١٢٠٧م على مدينة بيجي Pegae (٨٨)، وكيزيكوس Cyzicus (٨٩) ونيقوميديا(٩٠) . لذلك لجأ ثيودور لاسكاريس إلى جوانتيزا ليساعده في الهجوم على اللاتين في أوروبا(٩١) . وما أن قبل جوانتيزا تقديم المساعدة لثيودور، حتى قام هنري بمهاجمة ثيودور ليضعف من قواته في آسيا . وحدث تصادم عبر المضايق والممرات، غر أن هنري تمكن بنفسه من انقاذ حامية كيبوتوس Cibotus أو Civetot دون قلعتها(٩٢) .

كذلك تمكن هنري مرة أخرى من إنقاذ كيزيكوس من الهجوم البحري الذي شنه عليها قرصان Calabrese ويدعى Stirione الذي كان أميرال بحرية الكسيوس الثالث، أما الآن فقد أصبح في خدمة لاسكاريس(٩٣) . وطارده اللاتين عبر عبر الدردنيل وحتى بحر ايجة .

وتمكن هنري بحملة ثالثة من أن ينقذ نيقوميديا، وأنقذ بحملة رابعة من تبقى من القوات اللاتينية التي هزمها لاسكاريس(٩٤) . وخلال تلك الفترة كلها كان جوانتيزا يحاصر ادريانوبل، ولم يستطيع اللاتين انقاذها(٩٥)، وعندئذ اقترح لاسكاريس على هنري عقد هدنة لمدة عامين، بشرط أن يكون له الحق في هدم القلاع والحصون التي أقامها اللاتين في كيزيكوس ونيقوميديا، وفي مقابل ذلك يطلق ثيودور سراح جميع الأسرى اللاتين، وقبل هنري العرض المقدم له من ثيودور، إذ لم يترك له في آسيا سوى بيجي و Charax (٩٦) . وقد حققت الهدنة أهداف لاسكاريس من الحرب مع اللاتين في ذلك الوقت ممثلة في طرد اللاتين من آسيا أو إبعادهم عنها، وكذلك تجنب وصول الحملة الأوروبية، أما هنري فقد شرع في التقدم ولكنه فقد عدد من رجاله في كمين جديد .

وفي فبراير من عام ١٢٠٧م تزوج هنري من اجنس Agnes ابنة بونيفاس مونتفرات، وتم الزواج في كنيسة آيا صوفيا في احتفال مهيب، وتلى الاحتفال وليمة العرس التي مدت في القصر الإمبراطوري بوكليون (فم الأسد) . وفي صيف عام ١٢٠٧م، تقابل هنري وبونيفاس على شواطئ Maritsa حيث أعلن بونيفاس تبعيته لهنري وقدم له الطاعة والولاء، وصرح بأنه يعتبر سالونيك اقطاعاً منه له، كما كان أمره مع بلدوين(٩٧) .

ولكن سرعان ما قتل بونيفاس في مناوشة له مع البلغار(٩٨) . ومات جوانتيزا نفسه فجأة، في نفس الوقت تقريباً، على أثر نزيف دموي من الرئتين، وقد عزى موته في الحال إلى القديس ديمتريوس، الذي يعتبر حامي مدينة سالونيك وسيدها والمدافع عنها(٩٩) . وسرعان ما غيرت هاتين الميتتين الموقف تماماً .

فبوفاة القيصر البلغاري جوانتيزا (كالوجان) دب النزاع بين البلغار على العرش إذ كان ولي العهد الشرعي ووريث جوانتيزا -وهو ابنه غير الشرعي حنا آسن John Asen- صغيراً، وبالتالي لم يستطيع أنتزاع حقه في العرش، فهرب إلى روسيا، ومن هناك استمر في كفاحه من

أجل العرش وسط ثلاثة متنافسين وهم: سلاف Slav وهو قريب للأسرة الحاكمة ومركز قيادته ميلنيك Melnik في خيال رودوب، وستريز Strez وهو قريب آخر وكان تحت حماية استيفن ملك الصرب، ومركز قيادته حصن أو قلعة بروسيك Prosek في وادي نهر الفردار، أما الثالث فهو بوريل Boril ابن اخت جوانيتزا والذي تزوج من أرملة خاله، وحاصر العاصمة تيرنوفو Tirnovo.

وحاول هنري أن يستفيد في الحال من هذه الفرقة وذلك الانقسام الذي حدث بين البلغار، فخرج في أغسطس ١٢٠٨م على رأس ألفين من الرجال، كان سدسهم من اليونانيين، وتمكن من هزيمة جيش بوريل المكون من ٣٣,٠٠٠ جندي في فيليبوبوليس(١٠٠). كذلك سعى هنري بعد ذلك للتحالف مع سلاف Slav، الذي ما لبث أن أصبح فصلاً له، وطلب سلاف من هنري يد ابنته غير الشرعية، فأجاب طلبه(١٠١). وكتب هنري إلى البابا أنه أضاف إلى أملاكه في حلة استغرقت خمسة عشر يوماً ما يساوي إقليماً بأكمله. وقال له: «لقد تحسنت حالتنا، وتتحسن كل يوم، ويرجع الفضل في ذلك إلى الله وإليكم ... ومما لا يدع مجالاً للشك أن أرضنا في رومانيا تحكم بفضل إرشادكم الأبوي وتوجيهاتكم، وسوف تظل خاضعة وتابعة لكم، لذلك نأمل الحصول على مساعدتكم، حتى تظل مصائر الحرب لنا»(١٠٢).

كذلك أسرع هنري بتقديم مساعدة فعالة لدافيد كومنين في آسيا الصغرى ضد ثيودور لاسكاريس.

كذلك أدى موت بونيفاس مونتفرات إلى ظهور مشكلات جديدة في مملكة سالونيك. فقد كان ابنه من مارجريت Margaret (ماريا المجرية) ويدعى ديمتريوس Demetrius هو الوريث الشرعي له، ولكنه كان صغيراً، لذلك تولى الوصاية على سالونيك كل من النائب اوبرتو بياندرات Oberto of Biandrate (١٠٣) وكونستبل(١٠٤) المملكة Amedee po fey أو (أمادويوفا Amadeo Buffa) وتآمروا ضد ديمتريوس وهنري(١٠٥). لذلك قرر هنري أن يخرج على رأس حملة إلى سالونيك، ليطلب من السادة اللمبارد أن يقسموا له يمين الطاعة والولاء عن المملكة نيابة عن ديمتريوس الصغير. على أن رحلة الإمبراطور هنري إلى سالونيك كانت رحلة تعسة نظراً للبرد القارص محفوفة بالمخاطر نظراً لهجمات الولاش، كذلك قام بياندرات بإغلاق أبواب سالونيك في وجه الإمبراطور، وطالبه بياندرات بجميع الأراضي الواقعة بين نهر الفردار والادرياتيك (وكانت تخص البندقية، ولكن كان يحكمها في حقيقة الأمر ميخائيل أمير أبيروس) ومعها كل اليونان الأوروبي والمورة. وطالب أيضاً بمر عليالبحر الأسود، وأن يوافق هنري على أن تكون مدينة فيليبوبوليس حداً غربياً للإمبراطورية اللاتينية(١٠٦).

وعلى الرغم من أن هذه المطالب كانت زائدة عن اللزوم، ويحتمل أن تقابل بالرفض، إلا

أن هنري وافق عليها، ولكن كخدعة فقط حتى يدخل المدينة، لأنه هو ورجاله سوف يموتون من البرد. ولم يكن ينوي أن يفي بوعده، عندما يصبح بالداخل، خاصة وأن رجال الاكليروس الذين كانوا بصحبته قد حلوه من وعده، كما أنه اشترط لقبول مقترحات بياندرات أن توافق عليها مارجريت وتقبلها. ودخل هنري سالونيك بهذه الحيلة، واستقبله بياندرات بكل احترام وتقدير(١٠٧).

كان بياندرات قد عزم هو وأتباعه -المتآمرين على أن ينقلوا حكم سالونيك إلى وليم الرابع مونتفرات- ابن بونيفاس من زوجته الأولى، التي كانت ماركيزة في البلاط الملكي في إيطاليا، واعتبروا وليم هو سيدهم الحقيقي، وكانوا يفضلونه على مارجريت الغريبة عنهم والوصية على طفل نصف أجنبي. وفي الحقيقة أمل اللمبارديون أن يجعلوا وليم إمبراطوراً على القسطنطينية، ويعزلوا هنري، ويستردوا الحق الذي كانوا يشعرون أنه ضاع من بونيفاس عام ١٢٠٤م. لذلك حثوا وليم مراراً وتكراراً على أن يأتي إلى اليونان، ويتقلد السلطة الإمبراطورية ولكنه كان يفضل «زوجين من الثيران ومحراث في مونتفرات على تاج الإمبراطور خارجها»(١٠٨).

وهذا ما دعا فئة قليلة من كبار النبلاء اللمبارديين، الذين اشتركوا في المؤامرة إلى اتهام سيدهم بأنه ابن غير شرعي، وتمنوا أن يعيد وليم النظر في الأمر، وانتظروا ذلك، وتظاهروا بمساعدة مارجريت وديمتريوس. وحول هنري حيرتهم وارتباكهم لمصلحته، فقبل شروط بياندرات ومطالبه المهينة، واشترط أن تقبلها مارجريت وتصدق عليها، ووافق بياندرات على هذا الشرط، خشية أن تظهر خيانته لمارجريت وغدره بها قبل فوات الأوان.

وفي داخل سالونيك أصبح هنري قادراً على أن يعلن مطالب بياندرات بالأراضي أو الأقاليم كانت محددة بمقدار ما يقدمه النبلاء اللمبارديين من مساعدة، كما استطاع أن يقنع مارجريت برفض هذه المطالب على الرغم من الضغط الذي مارسه عليها بياندرات وأتباعه. وهكذا تخلص هنري من هذه الورطة دون خزي أو عار.

وتوج هنري في السادس من يناير عام ١٢٠٩م الطفل الصغير ديمتريوس ملكاً على سالونيك، وأقسم له بياندرات يمين الطاعة والولاء كنائب ووصي على مملكة سالونيك.

ولكن سرعان ما حصن بياندرات القلاع الهامة في سيرس Serres وكريستوبوليس Christopolis او (Kavalla)(١٠٩)، وزودها بالرجال المخلصين لوليم مونتفرات، وساعد هنري مارجريت في هذه الأزمة، لذلك أنعمت عليه بأملاك واسعة في تساليا Thessaly، كانت فيما سبق ملكاً لافروسين Euphrosyne زوجة الكسيوس الثالث. واستسلم بياندرات وسجن. وكان على هنري أن يقاتل من أجل سيرس التي حصل عليها، ولكن مقاومة كريستوبوليس، وثار اللمبارديون وانتشروا في تساليا، مما جعل هنري يقضي هو وحملته ربيع

عام ١٢٠٩م هناك. واستولى هنري على لاريسا Larissa ولكنه عامل حاميتها بلطف وإحسان(١١٠)، واستقبل بحفاوة بالغة وترحيب زائد من جانب السكان اليونانيين في Halmyros.

وعقد الإمبراطور هنري في رافنكا Ravennika (١١١) اجتماعاً برئاسته، وذلك عل أمل الصلح مع اللوردات اللمبارديين. ولكن لم يحضر منهم سوى اميدي بوفي Amedee Pofey الذي أبدى أسفه وندمه، وقدم الطاعة والولاء للإمبراطور، وحصل على إقطاعه في الحال. واستفاد هنري من وجود السادة أو اللوردات الفرنسيين في جنوب بلاد اليونان، فقد وصل فلهاردوان الصغير، وأعلن ولاءه للإمبراطور كفصل له، وجعله الإمبراطور سنشيالاً (قهرماناً) Seneschal للإمبراطورية. وهكذا ارتبطت آخايا Achaea (إمارة المورة) بالقسطنطينية مباشرة بدلاً من سالونيك(١١٢). وأقر فلهاردوان أيضاً بأن حقوق هنري يجب أن يكون لها الأولوية على حقوق الدوج وسرعان ما تنازلت البندقية عن حقوقها في المورة Morea لفلهاردوان فيما عدا مودون وكورون Modon and Coron. وتعهد فلهاردوان أن يدفع للبنادقة أتاوة سنوية، واحتفظ ببيت (تجاري) في البندقية(١١٣).

ثم هرع هنري لقتال المتمردين اللمبارديين، ورحب به الشعب اليوناني في طيبة كل الترحيب، ولكنه قام بحصار القلعة، وأجبر المدافعين اللمبارديين على التسليم، والموافقة على تقديم بياندرات للمحاكمة أمام البلاط الإمبراطوري، ولكن بياندرات تمكن من الفرار إلى ايوبويا Euboea. أما هنري فتقدم متجهاً نحو أثينا، وصلى وأدى الطقوس في كنيسة العذراء Virgin الموجودة في البارثينون، ثم عبر في شجاعة إلى ايوبويا على الرغم من وجود بياندرات هناك، وبالرغم من أن حاكم هذه الجزيرة ويدعى رافانو داللي كارسيري Ravano dalle Carceri من فيرونا Verona كان واحداً من حلفاء بياندرات إلا أنه قام بحماية هنري حتى لا يغدر به بياندرات. واضطر بياندرات في نهاية الأمر إلى الخضوع للإمبراطور وقبل الإمبراطور قسمه الجديد بتقديم الطاعة والولاء، واعاد إليه منصب الوصاية على سالونيك، وعلى الرغم أنه يبدو محتملاً أن بياندرات لم يبق طويلاً في منصبه، إذ ما لبث أن عاد إلى مونتفرات، واستمر في جهوده من أجل إقناع وليم بأن يطالب بسالونيك. وهكذا لم يأت تمرد اللمبارديين في بلاد اليونان أكله، وضاع سدى.

أزعجت انتصارات هنري على اللمبارديين في سالونيك ميخائيل أمير ابيروس فأرسل في الحال يطلب فتح باب المفاوضات، ووافق على أن يقدم الطاعة والولاء عن جميع أملاكه، وعرض أن تتزوج ابنته من يوستاس Eustace الأخ الأصغر لهنري(١١٤). ولكن نقض ميخائيل العهد الذي قطعه على نفسه خلال العام الأول من عقد المفاوضات. وحاصر ميخائيل اميدي بوفي - الذي كان يعمل كندسطبلاً للإمبراطورية اللاتينية مع مائة من اللاتين الآخرين. وأساء معاملتهم

جميعاً، وصلب بوفي وقسه وثلاثة آخرين.

وأدت هذه الخيانة غير المتوقعة إلى الحرب بين ميخائيل وهنري، واستعان ميخائيل في حربه مع هنري بخدمات بعض المرتزقة اللاتين الذي جاءوا عبر الإدرياتيك على متن سفن بندقية. واوضح هنري في خطاب له مؤرخ في يناير ١٢١٢م أن ميخائيل حنث بيمينه أربع مرات متفرقة، ومع ذلك لم يتأهب لمحاربته(١١٥) غير أننا لا نعرف تفاصيل العلاقات بينهما. وفي عام ١٢١٠م كانت كانت البندقية قد تنازلت لميخائيل رسمياً عن أراضي ابيروس Epirote التي حصلت عليها وفقاً لاتفاقية التقسيم(١١٦)، ولكن ليس من الواضح أن هذا التنازل قد تم خلال واحدة من فترات السلام بين ميخائيل والإمبراطورية اللاتينية. على أية حال فقد هزم هنري كل من ميخائيل وستريز بروسيك Strez Prosek هزيمة منكرة في بداية عام ١٢١٢م(١١٦).

ولكن سرعان ما هدده أعداءه الآخرين مرة أخرى، فهزم هنري بوريل عام ١٢٠٨م(١١٨) في الوقت الذي انشغل فيه بإعداد حملة لقمع البوجوميل Bogomilis (١١٩) من رعاياه، وربما كان البوجوميل من مساعدي حنا آسن John Asen وأعوانه. وفي عام ١٢١١م نجح بوريل مؤقتاً في أن يقمعهم.

أما عن ثيودور لاسكاريس فقد قاتل سلاجقة الروم(١٢٠)، ونجح لاسكاريس في عام ١٢١١م من هزيمة الأتراك بجيش كان نصفه تقريباً من اللاتين، على الرغم من أن هنري أرسل لهم قوات مساعدة من اللاتين أيضاً، وتمكن لاسكاريس من أسر حليفهم وهو حمية الكسيوس الثالث، الذي مات في أحد أديرة نيقية(١٢١). وبعد هذا الانتصار الذي حققه لاسكاريس، وجه خطاباً عاماً لجميع اليونانيين، يطلب فيه منهم أن يعدوه بالوقوف إلى جانبه ومساعدته في تحرير الأرض من اللاتين «الكلاب Dogs». وفي عام ١٢١١م أصبح في إمكان كل من ثيودور وبوريل مهاجمة هنري مرة أخرى.

وتعقب الإمبراطور هنري بوريل ناحية الغرب من بلغاريا دون أن يشتبك معه في معركة فاصلة. أما بوستاس شقيق هنري فقد انقض على قوات ستريز في سهل بلاجونيا بمساعدة ميخائيل أمير ابيروس وصهر يوستاس(١٢٢).

ثم استدار هنري نحو لاسكاريس الذي أسر بطرس براسيو Peter of Bracieux وقتله وهو أحد قادة الحملة الصليبية الرابعة. وبدأت دعاية لاسكاريس تشعر اليونانيين في أوروبا بالقلق. وتمكن هنري في الخامس عشر من أكتوبر/ تشرين أول عام ١٢١١م من هزيمة لاسكاريس على شواطئ آسيا الصغرى، ولم يكن معه سوى ٢٦٠ فارساً، في حين كان يصاحب لاسكاريس ١٧٠٠ فارساً في كتيبته وحده، فضلاً عن ٨٩ فارساً في كتيبة أخرى، إلى جانب ١٦٠ فارساً من اللاتين، ومما لا شك فيه أن هذه الأعداد كانت أقل، ويذكر هنري في تقرير له أنه لم يفقد من

قواته رجلاً واحداً(١٢٣).

واستولى هنري في حملة تالية على بويمانيوم Poemanenum ولينتيانيا Lentiana (١٢٤) وادراميتيوم Adramyttium، وأقاليم في أقصى الجنوب، ثم وقع بعد ذلك معاهدة مع لاسكاريس في نيمفايوم Nymphaeum (Kemalpasha)(١٢٥) حصل اللاتين بمقتضاها على كل الساحل الأسيوي لبحر مرمرة، وشريط طويل بجانب بحر ايجة، وعلى الرغم من أن مدن نيقوميديا وكيزيوس وبيجي وادراميتيوم لم تعد في أيدي اللاتين، إلا أنهم حصلوا أيضاً على شريط من الأرض يمتد داخلياً حتى جزيرة Achyraus (Balikesir). أما النيقيون فقد استردوا بيرجاموم Pergamum ومدن أخرى في الجنوب والشرق.

وكتب هنري من بيرجاموم في يناير ١٢١٢م تقرير المنتصر جاء فيه: «خضع أعدائنا الأربعة بوريل، ولاسكاريس، وميخائيل، وستريز، وتحطمت قواهم، واعلموا أنه لا ينقصنا لتحقيق النصر النهائي، ولتوطيد أركان الإمبراطورية إلا جمهورية اللاتين، نوزع عليهم البلاد التي نفتحها، بل والتي فتحناها لأن الحصول على الشيء ليس مهما إن لم يكن هناك من يحافظ عليه ويحميه»كان هنري يحتاج إلى الإمدادات للحفاظ على مكاسبه وتأمينها، ولم تأت إليه هذه الامدادات أبداً. لذلك فبعد حصار لينيتانا Lentiana كون هنري من أسراه اليونانيين وحدات عسكرية، وعهد إليهم بالدفاع عن حدوده الشرقية الجديدة ضد لاسكاريس، الذي ظل حكمه راسخاً ومستقراً حت نهاية حكم هنري.

وفي الغرب هزم يوستاس وسلاف يوريل الذي طلب بعقد الصلح، وعاد حنا آسن John Asen من روسيا مع قوات مساعدة روسية، واشتعلت الحرب الأهلية في بلغاريا، واستقرت الأمور بين بوريل وهنري، فعندما ماتت زوجة هنري وهي اجنس مونتفرات، تزوج هنري من ابنة بوريل، وتغلب على تردده في قبول هذا الزواج لنسبها وأصلها. ثم قاد هنري وبوريل بعد ذلك حملة معاً ضد استيفن الأول حاكم الصرب، وتقدموا حتى نيش Nish، ولكن هزمت قواتهما أمام الصرب. وكان كل من الملك أندرو الثاني Andrew II ملك المجر وستريز بروسك Strez of Prosek حلفاء لهنري وبوريل، ولكن تمكن استيفن Stephen من أسر ستريز وقتله وقد كان فصلاً له.

وفي عام ١٢١٤م قتل ميخائيل أمير ابيروس على يد أحد الخدم(١٢٦) وخلفه أخاه ثيودور (١٢١٤-١٢٣٠م) الذي كان حليفاً للاسكاريس(١٢٧). وضمن ثيودور أمير ابيروس التحالف مع سلاف، فلما ماتت زوجته ابنة هنري تزوج سلاف على الفور ابنة أخي ثيودور. وفي ١١ يونية من عام ١٢١٦م، مات الإمبراطور اللاتيني هنري في سالونيكا، عن عمر يناهز الأربعين عاماً فقط. وعلى الرغم من تصور المؤرخين بأن كل من زوجة هنري البلغارية الولاشية وعدوه اللدود بياندرات متهم بقتله، إلا أنه ليس هناك دليل على صحة ذلك حتى أن المعاصرين شكوا في

كليهما(١٢٨).

وهكذا أنقذ هنري الوضع اللاتيني مما كان عليه من انهيار أكيد في عام ١٢٠٦ وحتى وفاته في عام ١٢١٦، إذ كان هنري يتمتع بكثير من المواهب، فاتصف بالذكاء والفطنة كجندي حتى أطلق عليه مصدر يوناني (ملكية اريس الثاني Second Ares)(١٢٩) وكدبلوماسي إذ عقد تحالفات، وارتبط بمصاهرات مع سلاف، وميخائيل أمير ابيروس، وبوريل، وبالتالي قلب أوضاع اللاتين رأساً على عقب، وحقق مزايا كثيرة وفوائد جمة من تحالفه مع دافيد كومنين والسلاجقة. وكان بارعاً، ثابتاً، كريماً عندما تصدى لتمرد اللمبارديين وعصيانهم، والأكثر من هذا كله، أنه غير سياسة أسلافه تجاه اليونانيين، فضم إليه ثيودور براناس، واستخدم القوات اليونانية في حروبه ضد بوريل، وكون من الأسرى اليونانيين فرقاً للدفاع ضد العدو اليوناني.

ويوضح ذلك كله مدى صدق إحساسه بما تقضيه الضرورة السياسية. وقد تمتع هنر بشعبية كبيرة، فقد صرحت المصادر الغربية بأن الشعوب اليونانية في كل من Halmyros وطيبة ونيجروبونت Negroponte قد استقبلت هنري استقبالاً حافلاً كثير الصخب، بل أن المصادر اليونانية ذاتها أكدت هي الأخرى شعبيته أيضاً.

فيقول أكروبوليتا: «أن هنري رغم كونه من جنس الفرنج، إلا أنه كسب ود اليونانيين ورضاهم، وكذلك سكان القسطنطينية، فقد ولى العديد منهم المناصب الكبرى، كما عامل عامة الناس كأنهم أهله»(١٣٠). وعندما حاول المندوب البابوي بلاجيوس، كاردينال -أسقف البانو albano الضغط على اليونانيين في القسطنطينية حتى يغلقوا كنائسهم في عام ١٢١٤م، استقبل هنري وفداً من المواطنين اليونانيين، الذين أخبروه بأنه يمكن أن يحكم أجسادهم وليس أرواحهم، وأنهم سوف يقاتلون في الحرب دفاعاً عنه، ولكن لن يتخلوا عن عقيدتهم والتمسك بعبادتهم وشعائرهم. وضغط هنري على المندوب البابوي فأعيد فتح الكنائس اليونانية. وكتب أحد أفراد الاكليروس اليوناني في القسطنطينية -وهو غير معروف- للبابا انوسنت الثالث يقول:

«نحن نعتبر السيد هنري كسيدنا الإمبراطور، ونحن نعيش، ونعمل، ونحرث الأرض، ونرعى قطعاننا، ونبحر في البحر تحت ظله. وبدوننا لن تملأ مخازن الغلال أو معاصر النبيذ، وسوف لا نأكل الخبز، ولا اللحم، ولا السمك، ولن تستمر الحياة الإنسانية، ولن يتماسك المجتمع» (١٣١).

وقد أظهرت سجلات القانون المعمول بها في مدينة سالونيك في سنة ١٢١٣م أن المدينة كان لها إدارة يونانية، وأن جميع الأساقفة اليونانيين كانوا يحكمون في أسقفياتهم جنباً إلى جنب مع الحاكم المدني. وعندما عادت الأمور إلى مجراها بعد عشرين عاماً وعلى الأرض التي كانت تحت السيطرة اللاتينية اعترض المجلس اليوناني، وذلك على أنه أثناء حكم هنري عاش اليونانيون بلا خوف، وحصلوا على حقوقهم من اليونانيين التابعين في عدالة حقة(١٣٢).

وكان تصرف هنري مبنياً بالطبع على أسس ضعيفة، فهو لم يستطع أن يدفع أجور قواته، كما أن وجود أعداد كبيرة من المرتزقة اللاتين في جيوش نيقية وابيروس جعله يشعر بالقلق وعدم الاطمئنان لموقفه العسكري، فضلاً عن ان أهل نيقية وابيروس وبالمثل الدولة الولاشو -بلغارية كانوا من الوطنيين ومن أهل البلاد الأصليين. وربما نجح اللاتين مؤقتاً في مقاومتهم بالدبلوماسية، وهزيمتهم مراراً في الميدان، ولكن إذا كانت مشاريعهم ومصالحهم الداخلية قد الهتهم بعض الشيء إلا أنهم ظلوا يقاومون اللاتين حتى تغلبوا عليهم.

وأدى موت هنري المفاجئ إلى أن يصبح كونون بيثون Conon of Bethune (١٣٣) وصياً على الإمبراطورية، وحصل على لقب السباستوقراتور Sebastocrator، وكان كونون جندياً لامعاً، وسياسياً بارعاً، وقائداً وثق فيه لتنفيذ المشروع اللاتيني ضد بيزنطة منذ بدايته.

وما لبث البارونات أن اختاروا بطرس الكورتناي Peter of Courtenay كإمبراطور جديد، وهو كونت نيفار واوكسر Nevers و Auxerre، وزوج بولاندا أخت بلدوين وهنري. وتوجه البابا هونريوس الثالث في كنيسة القديس لورنس St. Lawrence «خارج أسوار»(١٣٤) مدينة روما في إبريل من عام ١٢١٧م. وكان متعمداً ذلك حتى لا يدعي بطرس أن تتويجه على يد البابا كإمبراطور في روما يمنحه حقوقاً على الإمبراطورية الغربية. وبالرغم من ذلك كتب البابا هونريوس لبطرس يقول له: «الرجل هو من يثبت بأعماله العظيمة، وكرم أخلاقه أنه يستحق التاج الإمبراطوري»(١٣٥).

وكان الإمبراطور الجديد حفيد الملك لويس السادس، وكان في الحقيقة واحداً من أكثر البارونات قتالاً وأشدهم عنفاً في فرنسا كلها. اشترك في حرب علنية ضد اسقف اوكسر Auxerre لعدة سنوات، وارتكب بعض الآثام الفاضحة. وهناك تقدير لمعاصر آخر يبدو أكثر واقعية من تقدير هونريوس عن بطرس يقول فيه: «لقد كان الرجل بحق من دماء ملكية، ذو قوة كبيرة لا حدود لها، ولكنه لم يكن قادراً على السيطرة على عواطفه، ذو مزاج حاد، شديد التقلب، لا يستطيع التحكم في غضبه عند إيذائه للآخرين»(١٣٦). وعلى الرغم من أن بطرس أحضر معه ٦٠٠٠ جندي كمدد، إلا أنه استطاع أن يثبت بصعوبة أنه أهل لأن يخلف هنري.

وقبل أن يترك بطرس الكورتاني روما، نجح الفريق اللمباردي في أن يحصل منه على تقليد لوليم مونتفرات بجميع حقوق مملكة سالونيك وواجباتها. ولم يترك لديمتريوس شيئاً سوى مجرد اللقب. ومن المحتمل أن تكون مارجريت قد لجأت إلى المجر بلدها الأصلي. وهكذا وقع بطرس على ما قاتل هنري طويلاً من أجل أن يحتفظ به. ومن المؤكد أن اوبرتو بياندرات Oberto of Biandrate كان من وراء حدوث ذلك. ونحن لا نعرف سوى القليل عن اغتصاب اللمبارديين للسلطة في سالونيك نفسها، ولكن يحتمل أن النزاعات القديمة بين الخصوم والأنصار في مونتفرات، أضعفت المملكة، وجعلتها غير قادرة على التصدي لثيودور حاكم ابيروس.

وتعهد بطرس أيضاً -نيابة عن البندقية- بان يحاصر دورازو Durazzo التي وقعت في يد ثيودور، الذي بسط سلطانه على معظم تساليا وبالمثل على اوخريدا، واجزاء كبيرة من مقدونيا.

وأبحرت بولاندا زوجته الحامل على متن سفينة، اتجهت مباشرة إلى القسطنطينية، بينما عبر بطرس الادرياتيك، وحاصر دورازو، ولكنها قاومت فرفع الحصار عنها، وتقدم عبر البانيا، وعندئذ أسره ثيودور أمير ابيروس وأسر كل جيشه بل والمندوب البابوي الجديد، الكاردينال يوحنا كولونا John Colonna. وبدأ هنوريوس الثالث على الفور بضغط على ثيودور لكي يطلق سراح بطرس، ولكن بطرس مات في الأسر مثله مثل بلدوين الأول، ومن المحتمل أن ذلك حدث في بداية عام ١٢١٩م. ومع ذلك فإن البابا كان يعتقد أنه لا زال على قيد الحياة، وأنه يمكن أن يكون مطلق السراح (في أواخر سنة ١٢٢٤م). واطلق ثيودور سراح المندوب البابوي الذي وصل إلى القسطنطينية في عام ١٢١٨م. وبالرغم من استمرار المفاوضات السرية لفترة من الوقت (بين البابوية وثيودور أمير ابيروس) إلا أن ثيودور لم يتوصل إلى اتفاق مع روما. واستمر في فتوحاته على حساب اللاتين، فاستولى على نيوبتراس Neopatra (Hypata) واستولى في عام ١٢١٩م على قلعة فاردار Vardar الكبيرة في بروسك Prosek، وبالمثل على بلاتامون Platamon (١٣٧) التي أحاطت بأملاكه في تساليا. واصبح من الواضح أن سالونيك نفسها أمست مهددة، وتنبأ أتباع ثيودور بأنها سوف تسقط في الحال(١٣٨).

وفي تلك الأثناء وصلت بولاندا إلى القسطنطينية حيث وضعت ابنها الذي سيصبح في المستقبل بلدوين الثاني Baldwin II، وحكمت كإمبراطورة في صيف أو خريف عام ١٢١٩م. وتزوجت إحدى بناتها وهي اجنس Agnes من جوفري فلهاردون Geoffry Villehardouin وريث إمارة آخايا Achea (المورة)، وتزوجت الأخرى وهي ماري Mary من ثيودور لاسكاريس امبراطور نيقية. ودعمت هذه الرابطة العائلية الجديدة من علاقات المحبة والسلام بين القسطنطينية ونيقية، وتوثقت بعد انتصار هنري في عام ١٢١١م. وليس هناك شك في أن هذه العلاقات ظلت قوية من خلال اتفاقية السنوات الخمس التي عقدت في أغسطس ١٢١٩م بين لاسكاريس وبودستا المستوطنة البندقية في القسطنطينية، ودوج البندقية المقبل جاكوب أويعقوب تيبولو Jacob Tiepolo، والتي فتحت أقاليم الإمبراطورية وأراضيها كلها أمام الرعايا الآخرين. ومنحت -هذه الاتفاقية- البنادقة حرية التجارة مع امبراطورية نيقية مع الإعفاء من الرسوم الجمركية والضرائب، على حين يلتزم تجار نيقية بأن يؤدوا الرسوم القانونية في القسطنطينية وفي ممتلكات البندقية الأخرى. ووعد لاسكاريس أيضاً بألا يرسل سفناً حربية إلى القسطنطينية بدون موافق صريحة من البودستا Podesta، ووعد كذلك بألا يجند المرتزقة البنادقة إلا بموافقته كذلك. وفي مارس عام ١٢٢٠م عقد تيبولو Tiepolo معاهدة تجارية جديدة مع سلاجقة الروم.

وعندما ماتت يولاندا اختير كونون بيثون وصياً للمرة الثانية، ورفض فيليب نامور Philip

of Namur الابن الأكبر لبطرس ويولاندا العرش الإمبراطوري، فحظي به أخوه الأصغر، روبرت الكورتناي. وسلك روبرت الطريق البري حتى وصل إلى القسطنطينية، ماراً ببلاد المجر حيث زار صهره الملك واخته الملكة يولاندا، ثم عبر بلغاريا في أمان، وكان هذا أمراً ميسوراً لأن يوحنا آسن نجح في أن يستولي على ترنوفو Tirnovo بعد سبع سنوات من الحصار، وألقى القبض على بوريل Boril وسمل عينيه وأصبح ملكاً على الولاش والبلغار (١٢١٨-١٢٤١م)، وتزوج آسن من ماريا ابنة الملك اندرو الثاني Andrew II ملك المجر، واصبح بذلك صهراً لروبرت، وتمتع روبرت بإحسان آسن وطيبته. ودخل روبرت القسطنطينية حيث توج على يد البطريرك متى Matthew في ٢٥ مارس ١٢٢١م. وخلال السنوات الخمس التي مضت منذ وفاة هنري، أدى تقدم ثيودور أمير ابيروس -واجتياحه المشئوم على الغرب إلى نقصان أملاك اللاتين. وقد قام هنري بواجبه خير قيام، حتى أن الإمبراطورية استطاعت الصمود بنجاح خلال فترة الخطر تحت حكم الإمبراطورة والوصي وتحت حكم الوصي حيث اشتد الخطر، ومما لا يدع مجالاً للشك أن كل من الوصي كونون بيثون، والبودستات البنادقة، والمندوب البابوي يوحنا كولونا قد توفرت لهم الحكمة والقوة اللازمتين.

ولكن يتفق معاصرو الإمبراطور على أنه لم تتوافر لديه الصفات اللازمة والمؤهلة: «quasi rudis et idiota» وربما كان رأيهم ضيق الأفق غير صائب(١٣٩). وفي القسطنطينية وسع البنادقة أملاكهم، ودب القتال عبر الممرات، وانتهز ثيودور لاسكاريس فرصة موت يولاندا ونقض معاهدته مع اللاتين. ولكن بعد تتويج روبرت وفي ايجاز تفاوض الجانبان لعقد الصلح، وتعهد ثيودور أن يزوج ابنته اودكيا Eudocia لروبرت، وأن يتبادلان الأسرى. ولكن اعترض بطريرك نيقية على هذا الزواج لقرابة العصب ورابطة الدم، إذ كان ثيودور قد تزوج ماريا أخت روبرت فظل موضوع الزواج معلقاً حتى توفي ثيودور لاسكاريس في أغسطس ١٢٢٢م وخلفه على العرش يوحنا دوقاس فاتاتزيس John Ducas Vatatzes زوج ابنته ايرين. أما عن اخوة ثيودور الاثنين فقد أخذا طريقهما إلى اللاتين، حيث جعلهما روبرت قائدين في جيشه(١٤٠).

غير أنه بعد سنتين من تتويجه لم يعد قادراً على مهاجمة اللاتين، في حين استمر ثيودور أمير ابيروس في حملاته ضدهم. فاستولى في بداية عام ١٢٢٢م على سيرس(١٤١)، واحكم حصار سالونيك، وحاول البابا هونريوس جاهداً أن يردع ثيودور ويشجع روبرت، فكتب لكل من اوبرتو بياندرات ووليم مونتفرات، وكان قد اتخذا طريقهما نحو الشرق لمساعدة الإمبراطورية(١٤٢). ولكن في خريف عام ١٢٢٤م، وقبل أن تقطع الحملة الغربية طريقها إلى الشرق، استولت قوات ثيودور على سالونيك. وهرب الملك الصغير ديمتريوس ورئيس الأساقفة اللاتيني إلى إيطاليا. وهكذا تقلد ثيودور أمير ابيروس وسيد المدينة الثانية في الإمبراطورية البيزنطية -عرش سالونيك ولبس الوشاح الأرجواني. ورفض قسطنطين ميسوبوتاميتس Constantine

Mesopotamites مطران سالونيك اليوناني أن يتوجه، في حين أعرب ديمتريوس خوماتيانوس Demetrius Chomatianus -رئيس أساقفة اوخريدا عن استعداده لأن يقوم بذلك العل بكل سرور. وبالرغم من أنه كان طبيعياً أن يعترض النيقيين على ذلك، وأن يهزأوا من عدم معرفة ثيودور المعرفة الكافية بالبرتوكول، إلا أن إمبراطور سالونيك الجديد ضمن مساعدة الكيروسة عن طريق التهديد بمداعبة البابوية. وهكذا مكن المطالب اليوناني الثاني بميراث بيزنطة لنفسه(١٤٣).

ولم يفشل روبرت فقط في أن يستغل هذه الفرقة بين اليونانيين ولكنه اتبع سياسة مهلكة وهي القتال في جبهتين في وقت واحد، لذلك فقد بسرعة معظم ما كسبه هنري. وتعرضت القوات اللاتينية لهزيمة ساحقة في بويمانينون Poimanenon في عام ١٢٢٥م على يد قوات فاتاتزيس، وهم ينسحبوا بالجيش الآخر الذي عهد إليه بحصار سيرس(١٤٤). وفتح فاتاتزيس معظم أملاك اللاتين في آسيا الصغرى، وبنى أسطولاً وشن هجمات بحرية على شبه جزيرة غاليبولي Gallipoli، مما شجع اليونانيين في ادرنة(١٤٥) على أن يستدعوا قواته، ودخلت قوات نيقية المدينة، ووضع فاتاتزيس بذلك الأساس لفتح بقية الممتلكات اللاتينية في أوروبا.

وسدد فاتاتزيس هذه الطعنة في صدر ثيودور أمير ابيروس، الذي اندفع من سالونيك شرقاً ليستولي على معظم تراقيا، ووصل حتى بوابات ادرنة، واقنع اهلها بان يطردوا جيوش فاتاتزيس، ويفتحوا له أبواب المدينة بدلاً منه. ولذا تصالح اللاتين مع فاتاتزيس، واستبقوا فقط على نيقوميديا في آسيا(١٤٦). بينما كان ثيودور يكتسح فيزيا Vizya -في تراقيا- ووصل حتى أسوار القسطنطينية ذاتها، وبدأ الوضع اللاتيني في عام ١٢٢٦م ميئوساً منه، إذ فشلت الحملة الصليبية التي كان يقودها مونتفرات لتحرير سالونيك، على الرغم من المساعدة التي قدمها هونريوس الثالث، ومات وليم مونتفرات في تساليا Thessaly في سبتمبر ١٢٢٥م، ومن ثم تشتت شمل قواته.

ومن المحتمل أن العامل الوحيد الذي أنقذ اللاتين من الخروج من القسطنطينية والطرد منها عام ١٢٢٥م و ١٢٢٦م كان ما قام به حنا آسن من فعل طيب. إذ كان ثيودور قد عقد صلحاً مع آسن، وزوج أخاه مانويل لماريا ابنة آسن غير الشرعية. ومن المحتمل كذلك أن آسن طلب من ثيودور أن يسمح لروبرت بالبقاء في الأراضي اللاتينية التي استولى عليها. إذ نصت المعاهدة التي عقدت بين ثيودور واللاتين في عام ١٢٢٨م على السماح بحرية التجارة عبر الحدود، مما يظهر أن اللاتين ما زالوا يمتلكون في تراقيا ثلاث مدن في فيزيا Vizya وهي Verissa (Pinarhisar) و «Genua»(١٤٧). ويتحدث نقش كبير مؤرخ في عام ١٢٣٠م(١٤٨)، وإقامة يوحنا آسن في كنيسة الأربعين شهيداً -يتحدث عن اللاتين كملاك لهذه الأراضي بموافقته ورضاه(١٤٩).

ولم يكن ما فعله آسن منزهاً عن الغرض والهوى والمصلحة، فقد كان يخطط لأخذ الإمبراطورية اللاتينية لنفسه، فقد حدث أن افتتن روبرت بسيدة فرنسية من أصل متواضع، وتزوجها سراً وأحضرها لتعيش معه في القصر الإمبراطوري، فانتهك فرسانه الفرنسيون حرمته، واقتحموا غرفة النوم الإمبراطورية، وشوهوا ملامح وجه زوجة روبرت وحاصروها، وأغرقوا أمها، وهرب روبرت إلى روما، واشتكى للبابا جريجوري التاسع، الذي أقنعه بالعودة إلى القسطنطينية. ولكن مات روبرت في بلاد اليونان في طريق عودته إليها في عام ١٢٢٨م. وكانت أخته ماريا كورتناي نائبة عنه أثناء فترة غيابه. وبعد موت بلدوين اختار البارونات نارجوت توسي Narjot of Toucy وصياً على الإمبراطورية. وكان وريث روبرت هو أخوه الأصغر بلدوين الثاني، وكان يبلغ من العمر أحد عشر عاماً، ومن ثم كان يحتاج إلى وصي.

وكانت هذه اللحظة التي ينتظرها حنا آسن، إذ كان يأمل مثل سيمون الحاكم البلغاري منذ ثلاثة قرون -أن تعد السلطات الموجودة في القسطنطينية وترتب للزواج من ابنته هيلينا Helena ووريث العرش الإمبراطوري، فيصبح بذلك حمياً لإمبراطور المستقبل ووصياً عليه. وفي الحقيقة تقرب البارونات من آسن وجعلوه يحقق ما يريد، ووعد بأن يسترد جميع الأراضي التي فقدها اللاتين من أيدي ثيودور أمير ابيروس. ولكن سرعان ما دب الخوف في قلوب هؤلاء اللاتين - الذين اذنبوا بانتهاك حرمة زوجة روبرت- من أن يعزز بلدوين الثاني قوته بآسن ويعاقبهم على جريمتهم، لذلك نصحوا بلدوين بأن يرفض الزواج من ابنة آسن رغم أنها كانت فتاة جميلة ظريفة. وبذلك خاب أمل آسن وحبط طموحه مثل سيمون من قبل.

ومثلما فوت رومانوس ليكابينوس Romanus Lacapennus الفرصة من قبل على سيمون وصل محله، فقد خذل البارونات آسن واختاروا حنا دي بريين ملك بيت المقدس وصياً، وكان طويل القامة، سريع الغضب، كما طالب بعرش ارمينية، واشترك كقائد في الحملة الصليبية الخامسة، وكان حمياً للإمبراطور فريدريك الثاني إمبراطور الغرب، وزوجاً لبرينجاريا Berengaria أخت الملك فرنارد الثالث. ملك قشتالة. وقاد حنا كذلك جيوش البابا جريجوري التاسع، وقاتل فريدريك الثاني في جنوب إيطاليا. وعرض بارونات القسطنطينية أن يتزوج بلدوين الثاني من ماري بريين ابنة حنا من برينجاريا، وأن يتوج حنا إمبراطوراً مدى الحياة، ولكن عندما يصل بلدوين إلى سن العشرين سوف يقدم الطاعة والولاء ليوحنا، ويتقلد مملكة نيقية وجميع أراضي آسيا الصغرى، فيما عدا نيقوميديا التي ستظل في يد حنا. ويمكن أن يترك حنا لورثته أما آسيا الصغرى أو أراضي ثيودور أمير ابيروس و Slav وستريز Strez. وعلى ورثة حنا أن يقدموا لبلدوين فروض الطاعة والولاء لقاء هذه الأراضي التي لم تكن في حيازة اللاتين وقت توقيع الاتفاق الجديد، الذي ما هو إلا تنقيح لاتفاقية التقسيم عام ١٢٠٤م(١٥٠).

وقد استثنت جميع ممتلكات البنادقة هذه الاتفاقية التي صدق عليها حنا والبابا جريجوري التاسع

في إبريل عام ١٢٢٩م. ووصل حنا إلى القسطنطينية في صيف عام ١٢٣١م، وتوج في الحال، وتزوج بلدوين من ماري، وقدم فروض الطاعة والولاء لحميه.

وكان حنا بطبيعته بخيلاً لدرجة أنه كان يفقد قواته أو يتنازل عنهم لقادة آخرين على أن يدفع لهم، لذلك انتظر حنا حتى عام ١٢٣٣م قبل أن يعبر الممرات ليهاجم فاتاتزيس الذي كان مشتبكاً في حرب مع حاكم رودس المستقل ليو جابالاس Leo Gabalas (١٥١). واستولى اللاتين على لامبساكوس lampascus، وساروا بحذاء ساحل بحر مرمرة، وحاصروا بيجي Pagae واستولوا عليها، ولكنهم لم يحققوا شيئاً له صفة الدوام والثبات.

وفي أثناء ذلك كان الميزان قد تغير تغيراً ملحوظاً، ففي عام ١٢٣٠م نقض ثيودور أمير ابيروس معاهدته مع حنا آسن، وغزا بلغاريا، وسار من ادرنة إلى ماريتسا Maritsa. وفي مكان يسمى كلوكوتنيتزا kolokotnitsa (١٥٢)، واتخذ حنا آسن من الرق الفعلي لنقض المعاهدة راية له وثبته برمح، وهزم ثيودور هزيمة ساحقة، وأسره، ثم استولى آسن على ادرنة، وديموتيقا Demotica، وعلى غرب تراقيا كله، وبالمثل على سيرس وبلاجونيا وبيريل وتساليا، وجزء كبير من البانيا. وكانت هذه تصفية حقيقية لممتلكات ثيودور. وحصن آسن معظم حصون هذه الإمبراطورية البلقانية الجديدة الكبيرة، وعامل سكانها معاملة طيبة. ثم تعقب ثيودور -بعد أن كان قد أطلق سراحه- إذ تآمر عليه، وقبض عليه ثم سمل عينيه. وحكم مانويل شقيق ثيودور وصهر آسن -سالونيك نفسها وما جاورها مباشرة، واتخذ لقب ديسبوت Despot (١٢٣٠-١٢٣٦م) واحتمى في آسن معتمداً على علاقته الأسرية. واستمر مانويل يوقع الوثائق الرسمية بحروف حمراء مقدسة وكأن سالونيك ما زالت مركز الإمبراطورية.

وبدأ حنا يدعوا نفسه بقيصر البلغار واليونانيين (البيزنطيين) مثل أسلافه في إمبراطورية البلغار الأولى ومثل عمه جوانيتزا Joannitsa وأراد كذلك أن يؤسس بطريركية بلغارية مستقلة بذاتها. وفي عام ١٢٣٢م فتح باب المفاوضات مع النيقيين، ونقل إلى بطريركية نيقية بعض الأسقفيات من البطريركية اللاتينية، وكانت هذه الأسقفيات قد خضعت له. وقام آسن بين عامي ١٢٣٢م و ١٢٣٥م بمحاولة لإقامة اتحاد بين القوي الأرثوذكسية بغرض الاستيلاء على القسطنطينية من أيدي اللاتين. وتأخرت النتيجة النهائية للاتفاق بين آسن وفاتاتزيس حتى عام ١٢٣٥م؛ لأن فاتاتزيس كان ينتظر نتيجة المفاوضات التي فتح بابها مع البابوية، إذ أرسل جرمانوس Germanus (١٥٣) بطريرك نيقية خطاباً إلى جريجوري التاسع مع خمسة من الرهبان الفرنسيسكان الذين عبروا نيقية(١٥٤). وأرسل البابا في الحال سفارة إلى نيقية مكونة من اثنين من الفرنسيسكان واثنين من الدومنيكان للتفاوض حول وضع نهاية للانقسام. ووصلوا إلى نيقية في عام ١٢٣٤م، وأداروا سلسلة من المناقسات دارت حول المسائل العادية مثل عبارة (والابن Filioque)(١٥٥) واستخدام الخبز غير المختمر في صنع العشاء الرباني.

وسأل فاتاتزيس عما إذا كان البابا سيعيد حقوق بطريرك نيقية (في القسطنطينية) إذا ما وعده بتقديم الطاعة للكرسي المقدس؟ فأجاب الرهبان بأن البطريرك اليوناني سيجد البابا يميل لجانبه ويقف في صفه بدرجة كبيرة. ورفض الرهبان أن يحضروا المجمع العام للكنائس الأرثوذكسية(١٥٦)، لأن تعليمات البابا وتوصياته لهم لم تصل إلى هذا الحد، واتجهوا نحو القسطنطينية.

ولكن فاتاتزيس ضغط عليهم ليعودوا النيقية، فوافقوا على ذلك، وكتبوا في النهاية تقريراً مسهباً بشأن الحالة المفزعة التي وجدوا القسطنطينية عليها. كانت القسطنطينية قد حرمت من كل حماية، وكان السيد الإمبراطور حنا معدماً، رحل جميع الفرسان المأجورين، واستعدت سفن البنادقة والبيازنة والـAnconitans وسائر الأمم الأخرى لمغادرتها، وأن كان البعض قد تركها بالفعل ورحل عنها. وعندما رأينا القسطنطينية قد هجرها الجميع، خشينا من الخطر لأنها كانت محاطة بالأعداء، يهددها آسن ملك الولاش Vlachs من الشمال، وفاتاتزيس من الشرق والجنوب، ومانويل من الغرب. لذلك نقترح فتح باب المفاوضات بين إمبراطور القسطنطينية وفاتاتزيس، وعقد هدنة لمدة عام. ولأنه ولم يكن باستطاعتنا نحن القيام بهذه المبادرة. فقد استشرنا رجال الدين في كنيسة آيا صوفيا والأساقفة في القسطنطينية والإمبراطور نفسه في الأمر، فنصحنا هؤلاء جميعاً بالقيام بهذه المبادرة(١٥٧).

واشترك الرهبان لهذا السبب في مجمع الكنائس الأرثوذكسية الذي عقد في نيمفايوم Nymphaeum (١٥٨) والذي انفض على مهاترات عنيفة واتهامات متبادلة بين اليونانيين واللاتين، وارجع اليونانيون -سبب العداء- إلى فظائع عام ١٢٠٤م، فأجاب اللاتين بان الصليبيين الذين اقترفوها مذنبون وقد صدر ضدهم قرار الحرمان. واهتم الرهبان -في هذه الظروف- بعرض فاتاتزيس بشأن استخدام الخبز المختمر في العشاء الرباني، وإذا ما اسقط اللاتين عبارة (والابن) من العقيدة. غير أن المفاوضات كلها لم تسفر عن شيء.

وعقد فاتاتزيس على الفور اتفاقية مع حنا آسن في عام ١٢٣٥م تقريباً، وتقضي بأن يتزوج ثيودور الثاني من لاسكاريس ابن فاتاتزيس الصغير من ابنة حنا آسن، التي سبق أن عزم آسن على أن يزوجها من بلدوين الثاني؛ وأن يقوم فاتاتزيس بطرد اللاتين من لامبساكوس Lampsacus (١٥٩). وبعد توقيع الاتفاق عبر فاتاتزيس الممرات، ونهب مدينة غاليبولي البندقية، وقتل سكانها وذبحهم. وعندئذ قابله آسن، واخذ فاتاتزيس الأميرة البلغارية وعاد بها إلى آسيا، حيث تزوجت من ثيودور لاسكاريس. وفي الوقت نفسه عين فاتاتزيس والكيروس نيقية Joachim مطران ترنوفو البلغاري بطريركاً مستقلاً بذاته(١٦٠).

ثم اتحدت جيوش فاتاتزيس مع قوات آسن واكتسحوا تراقيا، ووصلوا إلى أسوار القسطنطينية -وضربوا عليها الحصار- فتصدى لهم حنا بريين ولم يكن معه سوى مائة وستين

فارساً، وهزم القوات الولاشية النيقية بسرعة فائقة لذلك شبه المؤرخ الفلمنجي المعاصر فيليب موسكيس Philip Mouskes حنا بريين بهكتور Hector رولان Roland واوجير Ogier الدانماركي وماكابايوس اليهودي Judas Maccabaeus (١٦١). كذلك صحب الانتصار البري انتصار بحري حققه الأسطول البندقي على أسطول فاتاتزيس، وأسر منه خمس وعشرين سفينة من بينها بارجة قائد الأسطول البيزنطي نفسه.

ولكن سرعان ما عاد الهجوم البلغاري اليوناني الكرة ثانية، وطلبت البابوية مساعدة فرنسا والمجر ولكن دون جدوى، غير أن الإمبراطور اللاتيني حصل على مساعدات من جيوفري الثاني فلهاردوان Geoffrey II Villehardouin ومن البنادقة والبيازنة والجنوية، وفي تلك اللحظة كانت كل منهم تحيا في سلام مع الأخرى. ومن المحتمل أيضاً أنه حصل على مساعدات بحرية من دوق الأرخبيل المدعو انجيلو سانودو Angelo Sanudo الذي توسط لدى فاتاتزيس وحصل منه على اتفاق بهدنة لمدة عامين. ورحبت جميع الأطراف بهذا الاتفاق، فرجعت جيوش حنا بريين عن ولاشيا Vlachia، وسافر بلدوين الثاني إلى روما ليجمع الأموال. أما عن الطرف الآخر فقد بدأ آسن يخاف من أن يستفيد فاتاتزيس وحده بانتصارهم المشترك، وطلب منه أن تذهب ابنته إلى البلاط لزيارته، وفهم فاتاتزيس الحيلة إلا أنه وافق على طلبه.

وفي روما، حث البابا جريجوري التاسع بطرس بريتاني Peter of Brittany على الذهاب إلى القسطنطينية بدلاً من سوريا (بلاد الشام) على رأس حملته الصليبية، كما استبدل بالنذور ستمائة من فرسان شمال فرنسا بشرط أن يذهبوا لمساعدة الإمبراطورية اللاتينية. وتلقى رجال الكنيسة المجريين طلبات مماثلة، ولكن قبل أن يردوا عليها، مات حنا برين في القسطنطينية في الثالث والعشرين من مارس/ آذار عام ١٢٣٧م، وقبل وفاته بقليل كانت فرق الرهبان الفرنسيسكان قد أدخلته في زمرتها (١٦٢).

واقتصرت الإمبراطورية اللاتينية في آخر ربع قرن لها على مدينة القسطنطينية نفسها، التي عاش فيها عدد من اللاتين التعساء، معتمدين على معونة الغرب ومساعدته، وكان عليهم أن يواجهوا الحقيقة المرة وهي أن دول الغرب كانت مشغولة، فلويس التاسع كان مشغولا بمشاريعه الصليبية، وانشغلت المجر بإغارات المغول، وانشغل البابوات بصراعهم ضد الهوهنشتاوفن Hohenstoufens، حتى البندقية ومصالحها الاقتصادية كانت تعاني من الكساد والبوار. وكان بقاء الإمبراطورية واستمرارها يعكس أيضاً حقيقة هامة وهي أن اعدائها كانوا مشغولين كذلك. فالبلغار بقيادة آسن كانوا يخشون فاتاتزيس ويخافونه، بموت آسن أصبح البلغار مهددين أو يعانون من الضعف الداخلي. أما بالنسبة لفاتاتزيس فكان يكره مهاجمة العاصمة هجوماً خاطفاً سريعاً، وكان قد صدم كذلك بهجمات المغول على آسيا الصغرى. ومع هذا، فلم يثنيه ذلك عن عزمه، ويتضح ذلك من رده على خطاب أرسله له البابا جريجوري التاسع، طالباً فيه

أن يخضع فاتاتزيس لحنا وإلا فسوف يعاني من ضربات جيوش الغرب. فكتب له فاتاتزيس أنه لن يتخلى أبداً عن عزمه، وعن توجيه ضرباته ضد اللصوص والقتلة الذين يحتلون المدينة التي هو حاكمها الشرعي، وأخبر البابا بأن الإمبراطور الحق هو الذي يحكم أناساً وبشراً لا خشباً وحجراً، وتصنع منه التحصينات(١٦٣).

ومع ذلك فقد فتح آسن -حليف فاتاتزيس- باب المفاوضات البابوية، وتحالف مع اللاتين، وهيأ لهم الحصول على مساعدة جديدة من فرق الكومان الذين فروا أمام المغول وعبروا الدانوب وانتشروا في البلقان. وكانت المراسم التي تميز بها اللاتين نتيجة للاتفاق مع هؤلاء البرابرة الهمجيين، بل وحدثت زيجات بين النبلاء اللاتين وبنات قادة الكومان وفقاً للطقوس والشعائر الدينية.

وفي عام ١٢٣٧م اتحد اللاتين والكومان والبلغار في جيش واحد تحت قيادة آسن، وحاصروا تزورولوم Tzurulum (Throlu)، وهي مدينة محصنة تقع في تراقيا، وكانت في يد فاتاتزيس ولكن آسن ما لبث أن رفع الحصار عنها بمجرد أن سمع بموت زوجته وابنه، فظن أن ذلك انتقاماً وعقاباً لخيانته لفاتاتزيس، لذلك جدد تحالفه مع فاتاتزيس، وأعاد ابنته هيلينا Helena إلى زوجها اليوناني ثيودور لاسكاريس.

وما لبثت ازمات اللاتين في القسطنطينية أن اصبحت حادة وشديدة للمرة الثانية لذلك راح البابا يحث الصليبيين الغربيين ثانية، وكتب للاكليروس اليوناني يصف له ضعف حصون القسطنطينية والنقص الشديد في الغذاء والذي تعاني منه بدرجة مخيفة ومفزعة. وقام البابا بجباية ضريبة تقدر بـ ١/ ٣ المنقولات ودخل الكنيسة في المورة لكي يساعد في إنقاذ العاصمة. وعندما خاب الأمل في آسن، دعا البابا جريجوري التاسع إلى حرب صليبية ضده كذلك، وبصفة خاصة في أراضي صهره السابق الملك بيلا الرابع ملك المجر (١٢٣٥-١٢٧٠م). ولكن بيلا رفض أن يقاتل آسن إلا بشروط منها: أن تمنحه البابوية الحق في تعيين رجال الدين في الإقليم البلغاري المفتوح، وأن يكون للبابا مندوباً في المجر. وعلى الرغم من أن جريجوري وافق على جميع طلبات بيلا باستثناء الأخير، إلا أن هجمات المغول حالت بين بيلا وبين الهجوم على أراضي حنا آسن. أما عن آسن فقد عاد إلى التحالف مع نيقية من جديد، وإن كان لم يحارب إلى جوار فاتاتزيس ثانية، بل حافظ فقط على صورة الصداقة معه.

ولم يكتف البابا جريجوري التاسع بالجهود التي تبذل في الغرب لجمع الرجال ولأموال، بل أصدر سلسلة من القرارات الطارئة الضرورية في القسطنطينية نفسها من بينها: يجب ألا تقع منازعات في خلال عامين، وأن تكرس كل الطاقات والجهود من اجل الدفاع. وقبل البابا أن يصدر عفواً عن اللاتين الخونة الذين قاتلوا إلى جوار اليونانيين إذا ما ندموا الان على ما فعلوا، وقاتلوا من أجل الإمبراطورية اللاتينية من جديد. وإلا يصدر بند يفيد في الدفاع عن القسطنطينية

بدون إذن خاص أو تصريح من الإمبراطور أو البودستا أو البارونات .

وزار بلدوين الثاني باريس، حيث ناشد لويس التاسع والملكة الأم بلانش القشتالية Blanche of Castile، والعمة الكبرى في ذلك الوقت لزوجته ماري برين . ووجدت بلانش في بلدوين صبياً ليس لديه الحكمة ولا القوة الكافية لأن يشغل منصب الإمبراطور، ولا أقل من أن تساعده . كما كان يجب على بلدوين أن يقاتل في الفلاندرز من أجل الحصول على إمارة نامور Namur .

وزار بلدوين إنجلترا كذلك، وهناك استقبله هنري الثالث Henry III في البداية بفتور شديد ولا مبالاة، وذلك لما يكنه من حقد قديم ليوحنا برين، ولكنه عاد ورحب به في لندن ومنحه بعض الأموال . وسرعان ما وصلت بلدوين أخبار سيئة عن القسطنطينية مفادها أن ماري والبارونات جياع، وأن العدو أحضر الأبراج المتنقلة استعداداً للحصار، كما أن بعض البارونات انسلوا ليلاً عبر البوابات ليهربوا الى الغرب سراً . عندئذ قرر بلدوين أن يرسل الجيش الذي استطاع أن يجمعه إلى القسطنطينية، ولكن أعاق فردريك عبور هذا الجيش شمال إيطاليا، لأنه كان يحاصر ميلان، وعندئذ سأله البابا جريجوري التاسع في شراسة أن يمنحهم الأمان للعبور، ووافق فردريك، ولكن قائد الجيش وهو حنا بيتون توفي في البندقية وهو يستعد للرحيل إلى القسطنطينية وتشتت رجاله . وحال الأسطول البندقي وحده دون ضياع القسطنطينية وفقدانها .

وفي هذه الأوقات العصيبة رتب البارونات لرحيل اكليل الشوك(١٦٤) للبنادقة، وأخذ البودستا هذا الأثر النفيس العظيم كضمان لدين يقدر بـ١٣, ١٣٤ هيبربرة(١٦٥) . وكان دين لأربعة أشخاص من بينهم البودستا، ولكن قام نيقولاس كوريني Nicolus Querini فيما بعد بدفع المبلغ للدائنين الأول -وهو أحد البنادقة كذلك . وحصل بذلك على الإكليل لحين رد الدين، وكان حتمياً أن ملكية هذا الإكليل سوف تنتقل إليه إذا لم يدفع مبلغ الدين خلال المدة المحددة(١٦٦) . أخيراً وفي عام ١٢٣٨م فك لويس التاسع رهن الإكليل، وسار به في رحلته المشهورة إلى باريس، ووضعه في كنيسة سانت شابل، وظل بها .

وخاب آخر أمل لبلدوين إذ وجد معظم نبلاء فرنسا الكبار لا يرغبون في قتال أي عدو بالشرق سوى المسلمين، وأنهم أبحروا بالفصل إلى الشرق في يونية ١٢٣٩م، وذهبوا إلى عكا بدلاً من القسطنطينية(١٦٧) . لذلك قام بلدوين برهن نمور Namur للويس التاسع مقابل مبلغ ٥٠,٠٠٠ جنيه باريسي، ثم رحل على رأس ٣٠,٠٠٠ أو اكثر من الجنود إلى القسطنطينية، ووصلها بأمان في عام ١٢٣٩م، دون ان يعترض طريقه آسن أو أن يقدم له يد المساعدة . واستولت قوات اللاتين والكومان في عام ١٢٤٠م على تزورولوم، وباعوا أسراهم اليونانيين في رق وعبودية لأتباعهم اليونانيين . وهزم أسطول البنادقة فاتزيس أكثر من مرة، ويعزو أمير الأسطول هذه الهزيمة إلى تفوق السفن اللاتينية(١٦٨) .

وفي تلك الأثناء تزوج حنا آسن الأرمل من ايرين ابنة أسيره ثيودور أمير ابيروس - الجميلة، ثم اطلق سراحه بعد سجن عشر ونجح ثيودور عن طريق المكيدة أن يطرد مانويل من سالونيكا، لأنه أصبح أعمى، ولكنه لم يستطع أن يصبح باسيلنيوس basileus مرة اخرى كذلك عين ابنه حنا (١٢٣٦-١٢٤٤م) في هذا المنصب.

وحرم بلدوين الثاني من اقوى وأعظم مساعدة له وهو البابا جريجوري التاسع إذ توفي في عام ١٢٤١م، وظل منصب البابوية شاغراً طيلة عامين مما أضر بآمال بلدوين الثاني ومطامعه. وقام بلدوين بمحاولة لجمع المال، فمنح اقطاعه الغربي في كورتناي لجوفري الثاني فلهادرون أمير آخايا، فلامه لويس التاسع بشدة على منحه هذا الاقطاع - الذي يربطه بالأسرة المالكة الفرنسية برباط خاص - لفلهاردون. واعترف بلدوين أنه يستحق التعنيف على ذلك - ولكنه اعتذر بالفقر والعوز.

وفي عام ١٢٤١م مات حنا آسن، وخلفه ابنه الصغير كولومان الأول Coloman I، وقد دفع هذا التطور إلى جانب إعادة قيام باسيليوس في سالونيكا حنا فاتاتزيس إلى التدخل في أوروبا. وعقد هدنة مع اللاتين حتى يصبح حراً(١٦٩)، وحاول عن طريق الخداع أن يأمن جانب ثيودور أمير ابيروس فغزا فاتاتزيس أوروبا، وارغم الباسيليوس حنا أن يخلع التاج الإمبراطوري، وأن يقنع بلقب امير أو ديسبوت، وانه حصل على هذا اللقب كمنحة من إمبراطور نيقية. ولكن انتصار المرن على السلاجقة وما تلى ذلك من تهديدهم لآسيا الصغرى، أجبر فاتاتزيس على العودة إلى آسيا عبر الممرات.

ويظهر لنا بجلاء مدى فقر بلدوين، إذ ما علمنا أنه خلال هذه الفترة كان حوالي ١,٠٠٠ من الجنود اللاتين يقاتلون في الجيوش السلجوقية، ويظهر مدى تأثيرهم في ارتقاء السلطان غياث الدين كيخسرد الثاني للعرش، وفي الامتياز الخاص الذي تمتعوا به وهو عدم تقبيل قدمه. وتعكس السجلات مدى ما أظهروه من شجاعة نادرة في قتال المغول، ومدى الهيبة والخوف من مؤجرهم من أعدائهم على حد سواء. وفي الحقيقة كان السلطان يتطلع إلى الحصول على عدد كبير من هؤلاء المقاتلين، ولم يكن يدرك مدى ضعف الإمبراطورية اللاتينية. عندما قدم لبلدوين الثاني عرضاً للتحالف في ذلك الوقت، وطلب الزواج من أميرة لاتينية، ووعد بألا يجبرها على ترك ديانتها المسيحية، وأنه يمكنها أن تتخذ قساً لها وتحتفظ برجال الدين في رفقتها أو صحبتها، خاصة وأنه هو نفسه كان ابناً لأميرة يونانية(١٧٠). وعرض كيخسرو كذلك بانه سوف يقوم ببناء الكنائس في جميع مدنه، وان يدفع للقساوسة المسيحيين رواتبهم مقابل تأديتهم للرسوم والشعائر الدينية، كما وعد بأن يجعل السلك الكنسي والكهنوتي في سائر الأسقفيات المسيحية داخل أراضيه - يخضع للبطريركية اللاتينية في القسطنطينية، كما لمح بأن عروسه لو اظهرت له الحب والإخلاص والود بحق، ربما يصبح مسيحياً.

واغرى هذا العرض بلدوين بدرجة كبيرة، وحاول إقناع بلانش القشتالية بمدى نفوذ السلطان وعظم سلطته، ومدى الفائدة التي ستعود على الإمبراطورية من وراء هذا التحالف؛ وطلب منها أن تطلب من إحدى أخواته بأن ترسل إحدى بناتها إلى القسطنطينية ليتم حلفه مع السلطان، إذ لم يكن لدى بلدوين بنات من زوجته ماري، ولم يعرف أكثر من ذلك بشأن مشروع الزواج هذا. ولكن سرعان ما فترت حماسة بلدوين -لهذا المشروع- عندما علم المزيد عن حليفه المنتظر، فقد كان كيخسرو ضعيفاً فاسقاً، ولم يكن عدواً لفاتاتزيس مثلما جعل بلدوين يعتقد ذلك بل كان على وفاق تام معه. وعلاوة على ذلك ففي الثاني من يوليو/ تموز عام ١٢٤٣م، وقبل أن يكتب بلدوين لبلانش بشهر واحد، هزم المغول السلطان في Kose Dagh في شمال أناتوليا، بل ودخلوا قونية وخربوها، وكان فاتاتزيس تواقاً للعمل من اجل حماية نيقية من خطر المغول، الذين عقدوا تحالفاً مع السلاجقة، وانسحب المغول من آسيا الصغرى وقنعوا بأخذ الجزية من السلاجقة، الذين لم يستطعوا استرداد قوتهم وهيبتهم السابقة أو رد اعتبارهم مرة أخرى. وبالرغم من ابتعاد التهديد عن نيقية إلا أنه كان صرف انتباه فاتاتزيس عن اللاتين في القسطنطينية بدرجة كافية ولعدة سنوات.

وعول بلدوين بدرجة كبيرة، خلال فترة إقامته الأولى والقصيرة في القسطنطينية (١٢٣٩-١٢٤٢م أو ١٢٤٤م) على لويس التاسع وبلانش القشتالية، وأرسل النفائس إلى باريس بهدف الحصول على الأموال بدلاً منها، واستشار الابن والأم (أي لويس وبلانش) في جميع مشاكله. وارسل بلدوين لبلانش خطاباً في أغسطس ١٢٤٣م يرد فيه على اتهامه بان لديه اثنان من المستشارين اليونانيين (البيزنطيين) في مجلسه، وأنه يعمل بمشورتهما. وجاء في الخطاب: «نحن نصرح بل ونقسم لكم أننا لا نعمل بمشورة أي من اليونانيين، ولا ناخذ بنصحهم في أي عمل، ولن نأخذ به الآن، وسوف لا نأخذ به. ونحن نعمل على عكس ذلك بمشورة نبلاء فرنسا وخيرة رجالاتها، الذين هم في معيتنا ... ومع ذلك إذا كنتم تجدون اننا بحاجة لتصحيح بعض الأوضاع، فنحن نرجوكم أن تخبرونا لنصححه، وسوف تجديننا مستعدين تماماً لأن نتبع نصحكم، ونكون طوع امركم... فنحن يحدونا الأمل في منة ابنك الرزين سيدنا الملك، وفي فضلك»(١٧١).

وهكذا انكر بلدوين أن لديه مستشارين يونانيين، واصر على أنه يعتمد على الفرنسيين، وقدم تفسيراً قوياً لما حدث من تغيير في السياسات منذ وفاة الإمبراطور هنري. كما أن خضوعه الظاهر من خلال الخطاب الذي أرسله إلى بلانش، يدل على مدى اعتماد الإمبراطورية على باريس، وزاد هذا الاعتماد خلال السنوات التي شغر فيها العرش البابوي. وفي عام ١٢٤٣م أو بداية عام ١٢٤٤م، عاد بلدوين إلى الغرب، وظل هناك حتى أكتوبر ١٢٤٨م.

وفي ربيع عام ١٢٤٤م لعب بلدوين دوراً كبيراً في المفاوضات العقيمة من اجل الصلح

بين كل من فريدريك الثاني والبابا انوسنت الرابع، وتوسط لدى البابا نيابة عن فريدريك، وعمل كسفير لفريدريك وكاحد ثقاته، وعقد هدنة مع فاتاتزيس لمدة عام ١٢٤٤-١٢٤٥م بوساطة فريدريك. وبعد ذهاب البابا إلى ليون في ديسمبر ١٢٤٤م، ظل بلدوين الثاني إلى جوار فريدريك، وعمل كممثل له في الجلسات الأولى في مجمع ليون.

ولكن في مجمع (٢٨ يونية ١٢٤٥م) جلس بلدوين على يمين البابا، في مركز الصدارة بين الأمراء العلمانيين. واخبر نيقولاس Nicholas بطريرك القسطنطينية اللاتيني الأساقفة المجتمعين بعد وان اليونانيين وعداوتهم، وخطب البابا انوسنت في المجمع خطبة عبر فيها عن أحزانه الخمسة الكبار، وكانت واحدة منها الانشقاق اليوناني، والتهديد اليوناني (البيزنطي) للاتين في القسطنطينية(١٧٢). وعلى الرغم من أن أعمال المجمع الرئيسيةدارت حول النزاع مع فريدريك -فقد قام انوسنت بإصدار قرار الحرمان ضد فريدريك بسبب العديد من التهم التي وجهت إليه، ومنها أنه قام بتزويج ابنته كونستانس من فاتاتزيس الذي كان أرملاً في ذلك الحين(١٧٣). إلا أن المجمع وضع كذلك قوانين لتوفير المال لمساعدة الإمبراطورية اللاتينية، وهي عشر دخل البابا، ونصف الدخل الكلي لأي كنيسة يكون صاحبها مقيماً بها ستة اشهر أو أكثر، ما لم يكن قد سافر في مهمة رسمية.

وظل (أي بلدوين) مقيماً في الغرب لعامين تاليين بسبب الأمور المعقدة في البلاد المنخفضة أو الأراضي المنخفضة Low Countries، ولكنه عاد إلى القسطنطينية في أكتوبر ١٢٤٨م. واصبح غارقاً في الديون، حتى أنه عهد إلى الإمبراطورة ماري بان ترهن أي أراضي له في الغرب حتى يجمع مبلغ ٢٤,٠٠٠ هيبربرة، وكان مديناً بهذا المبلغ لبعض تجار القسطنطينية. وهذا المبلغ الكبير، ربما كان ديناً لأخوين من التجار البنادقة هما حنا وانجلوفرو John و Angelo Ferro، وبسببه قام بلدوين -كما نعلم- في وقت ما برهن ابنه الوحيد فيليب الكورتناي لهما، وكان فيليب قد لد في عام ١٢٤٠م، وأرسل في طفولته الباكرة للبندقية كضمان لدين أبيه، وقضى هناك عدة سنوات في حضانة دائني أبيه. وعندما عاد بلدوين في عام ١٢٤٨م، رحلت الإمبراطورة ماري -أم فيليب- بدورها إلى الغرب. غير أنها لم ترهن أراضي زوجها في الغرب، وذلك بسبب رفض بلانش القشتالية ولويس التاسع لمثل هذا التصرف. ومع ذلك فلم يعمل لويس على توفير المال اللازم لفك رهن ابنها فيليب، ولكنه أرسل في عام ١٢٥٨م بعض المال للنفقة يقدر بـ(١,٠٠٠ جنيه)ن ولكن المبلغ المطلوب لتحرير فيليب كان كبيراً يفوق كرم لويس وسخائه، وكان لا بد وأن يأتي في النهاية من محسن أو خيّر آخر(١٧٤).

وكان خطر المغول على نيقية قد خمد -خلال فترة غياب بلدوين- ومات الديسبوت حنا أمير سالونيك، وخلفه أخوه الصغير ديمتريوس الفاسق. كذلك قام فاتاتزيس في عام ١٢٤٦م بزيارة أوروبا، عندما علم بموت كولومان الأول Coloman I حاكم بلغاريا كذلك. واستولى

فاتاتزيس من البلغار على سيرس serres وجبال رودوب Rhodope وعلى معظم مقدونيا بدون إراقة دماء. ودفعت هذه المكاسب الإقليمية الكبيرة التي حققها فاتاتزيس -المتآمرين في سالونيك إلى أن- يحبسون مشاعرهم نحوه. ووعدهم فاتاتزيس بأن يحدد الامتيازات التي حصلت عليها المدينة، فوافقه المتآمرون، ويبدو أن قائدهم كان تابعاً لايرين ابنة ثيودور أمير ابيروس وارملة حنا آسن.

وبعد ان اصبح فاتاتزيس حاكماً على سالونيك، أخذ ديمتريوس وعاد به إلى آسيا في أواخر عام ١٢٤٦م. وبذلك تلاشى بحق دور إمبراطورية الغرب اليونانية. وتمسك ثيودور الطاعن في السن بإمارته الصغيرة حول اوستروفو Ostrovo، ولكنها لم تكن تشكل تهديداً حقيقياً لنيقية. ولكن التهديد الحقيقي لها جاء من جانب ميخائيل الابن غير الشرعي لميخائيل الأول مؤسس إمارة ابيروس؛ الذي استعاد سيادة ابيروس القديمة على Acarnania منذ بداية عام ١٢٣٠م. وقد جعل سقوط سالونيك الديسبوت ميخائيل الثاني (١٢٣٦-١٢٧١م) وفاتاتزيس وجهاً لوجه.

وفي سنة ١٢٤٧م، كانت الهدنة التي عقدها فاتاتزيس مع فريدريك الثاني قد أنتهى أجلها، وهاجم فاتاتزيس اللاتين في تزورولوم Tzurulum واستولى عليها بعد حصار طويل. ووجد بداخلها أخته غير الشرعية وهي أوداكيا لاسكاريس Eudocia Lascaris، التي عقدت النية على زواجها من الإمبراطور روبرت. ولكنها كانت قد تزوجت منذ فترة طويلة من نبيل فرنسي يدعى (Anseau of "Cahieu" Cayeux) انسو من كايو؛ وكان قد تركها تزورولوم، على أمل أن وجودها هناك سوف يمنع فاتاتزيس من حصار المدينة، ولكن فاتاتزيس أعاد اوداكيا إلى القسطنطينية، وتقدم للاستيلاء على فيزيا Vizya، وخاف اللاتين الموجودين داخل العاصمة من سوء العاقبة. ولكن فاتاتزيس اتجه نحو رودس على أثر سماعه خبر أن جنوا وامير آخايا يقاتلون اليونانيين، وبذلك نجت القسطنطينية من هجوم فاتاتزيس.

وفي السنوات الأخيرة التعيسة للإمبراطورية اللاتينية كانت السجلات قليلة وشحيحة؛ كان بلدوين غائباً عن القسطنطينية معظم الوقت، يحاول دون جدوى أن يجمع أموالاً أكثر ورجالاً أكثر من أي شخص لديه فائض. ويبدو أنه زار معسكر لويس في دمياط في عام ١٢٤٩م(١٧٥). وفي فترة غيابه كان فيليب التوسي Philip of Toucy يعمل كنائب عنه في القسطنطينية. وكان قد استعاره من لويس التاسع أيضاً في فلسطين في عام ١٢٥١م.

وكدليل على حالة اليأس التي انتابت اللاتين فقد تخلى البابا انوسنت الرابع نفسه عن سياسة البابوات التقليدية تجاه القسطنطينية. وفي بواكير عام ١٢٤٧م نجده يصدر أوامر عاجلة للاكليروس بأن يقدم المال للاتين. وآمل أن يضع نهاية لقضية الانشقاق عن طريق المفاوضات المباشرة مع فاتاتزيس. وذكرت الملكة ماريا المجرية Maria Hungary أن فاتاتزيس سوف

يقبل السيادة البابوية. وارسل أنوسنت في مايو عام ١٢٤٩م القائد الفرنسيسكاني حنا البارمي John of Parma للتفاوض مع فاتاتزيس مباشرة. وقد أبدى البابا استعداداً للدعوة لعقد مجمع في الشرق إذا قبل اليونانيون عبارة والابن Filioque. (١٧٦) وارسل فاتاتزيس سفارة بدوره، وبينما تعبر هذه السفارة جنوب إيطاليا قام فريدريك الثاني بأسرها أولاً وبعد وفاة فريدريك الثاني في عام ١٢٥٠م زاد شك خليفته مانفرد Manfred في المباحثات البابوية النيقية.

وأخيراً استقبل البابا السفراء اليونانيين(١٧٧)، واعادهم بمقترحات جديدة، وطال أمد المفاوضات واستمرت خلال الفترة من ١٢٤٩-١٢٥٢م، مما أعطى للاتين مهلة جديدة؛ فإذا استطاع فاتاتزيس أن يعيد القسطنطينية عن طريق الدبلوماسية فسوف لا يشرع في القيام بحصار طويل الأمد.

وظهر ازدياد نفوذ ميخائيل الثاني وقوته -أمير ابيروس- خلال هذه السنوات، لذلك راح فاتاتزيس يرتب للطفل ثيودور (الثاني) لاسكاريس، ولزواج ابنته الكبرى ماريا Maria ونقفوروس Nicephorus ابن ووريث ميخائيل الثاني، ولكن ميخائيل لم يستمع إلا لصوت عمه ثيودور أمير ابيروس ذلك الرجل المسن الأعمى والذي سيظل يتآمر حتى آخر نفس في حياته وجسده. لذلك قامت جيوش فاتاتزيس في عام ١٢٥٢م بتخريب اقطاع ثيودور في اوستروفو ostrovo وكذلك الأقاليم التابعة لميخائيل. واضطر ميخائيل لأن يسلم عدداً من المراكز القوية في ابيروس والبانيا كثمن للسلام. ودفع وجود جانب كبير من جيش نيقية في أوروبا -دفع البابا انوسنت الرابع إلى أن يوصي الاكليروس ثانية بتقديم يد العون والمساعدة للبارونات وللبنادقة ولأمير آخايا إذا ما عزموا على مقاومة فاتاتزيس.

ولكن سرعان ما وصلت سفارة جديدة من نيقية إلى روما في عام ١٢٥٤م، عرض فاتاتزيس من خلالها أن يعترف بسيادة البابوية في مسائل العقيدة، وان يدعوا إلى عقد مجمع للنظر في عبارة والابن Filio que، وطلب لقاء ذلك أن يسترد القسطنطينية، وأن يعود عرشها البطريركي إلى بطريركية ارسينيوس Arsenius. وكانت البابوية ترفض دائماً النظر في مثل هذه المطالب من قبل، أما الآن فقد أجاب البابا انوسنت الرابع بأنه لن يستطيع أن يعد بشيء بخصوص القسطنطينية لأن الإمبراطور اللاتيني لم يرتكب ذنباً يجعله يحاكم أمام المحكمة البابوية ويدان، ولكن وعد البابا بأنه سوف يقوم بمساعي حميدة للبت في المسائل الموضوعة قيد البحث بين الأباطرة اللاتين وبين اليونانيين (البيزنطيين)، وسمح البابا لنفسه أيضاً أن يلمح بأن الخضوع الكامل من جانب نيقية لروما يمكن أن تتبعه مساعدة بابوية من اجل إعادة الحكم اليوناني (البيزنطي) إلى العاصمة (القسطنطينية). كما أبدى البابا انوسنت استعداداً لأن يلقب بطريرك نيقية »بطريرك القسطنطينية«. ثم يحدث بعد ذلك أن تسقط مدينة القسطنطينية في يد فاتاتزيس، ويعيد انوسنت الرابع البطريرك اليوناني (البيزنطي) إلى مركزه القديم، حيث سيحكم رعاياه كل من البطريركيات

اللاتينية واليونانية (أي البيزنطية)(١٧٨).

يتضح من هذه الكلمات الحذرة أن انوسنت تصالح على أساس أن تسقط الإمبراطورية والبطريركية اللاتينية إذ ما استطاع ان يحقق الاتحاد بين الكنائس وعن طريق المفاوضات. وإذا خضعت نيقية لروما، فكان على انوسنت أن يولي وجهه شطر وجهة اخرى عندما يستولى فاتاتزيس على القسطنطينية. ولكن مات كل من فاتاتزيس وانوسنت في عام ١٢٥٤م وتوقفت المفاوضات.

وفي عام ١٢٥٦م أرسل البابا الكسندر الرابع Alexander IV الاسقف قسطنطين اورفيتو Constantine Oriveto إلى ثيودور الثاني لاسكاريس خليفة فاتاتزيس نيابة عنه ليكرر عرض انوسنت الرابع إذا كان ذلك ضروريا. غير أن المناقشات بينهما لم تسفر عن شيء، ولكن بات واضحاً من خلال المراسلات البابوية أن الإمبراطورية اللاتينية لم تعد أداة ناجحة تستخدمها البابوية في سياستها الغربية، فلم تحقق بواسطتها اتحاد الكنائس، ولا حملة صليبية ناجحة، لذلك عزم انوسنت الرابع ومن بعده الكسندر الرابع على التخلص منها وإزالتها؛ وقد ساعد البابوات في الوصول إلى هذا القرار صداقة بلدوين لفريدريك الثاني ثم إخلاصه لمانفرد وعلاقة المودة التي ربطت منها.

وقضى ثيودور الثاني لاسكاريس حكمه القصير (١٢٥٤-١٢٥٨م) في حرب بلقانية ضد البلغار، واهل ابيروس، والألبانيين والصرب، ولكن لم تواتيه الفرصة ليتحرك ضد اللاتين.

وبعد وفاة ثيودور لاسكاريس خلفه ميخائيل باليولوجوس(١٧٩)، وهو سليل عائلات بيزنطية إمبراطورية(١٨٠)، وكان قائداً ناجحاً طموحاً، تولى قيادة فرقة المرتزقة اللاتين في جيش إمبراطور نيقية، ونجح في الوصول إلى العرش بمؤامرة مدروسة(١٨١). وفي عام ١٢٥٩م هزم ميخائيل جيوش ميخائيل الثاني أمير ابيروس. ومانفرد، ووليم فلهاردوان أمير آخايا الذي كون تحالفاً ضده -في بلاجونيا Pelagonia في نيقوميديا. واخذ وليم أسيراً(١٨٢). وعاد اليونانيون (اليزنطيون) الذين كانوا يقاتلون في جيوش التحالف ثانية إلى ميخائيل الثامن باليولوجوس، الذي أصبح مصيره واضحاً.

وفي الحال وبعد اعتلاء ميخائيل الثامن العرش، أرسل إليه بلدوين الثاني -الذي تصور حيث ما ترائى له أن إمبراطور نيقية لديه رغبة في الوصول إلى اتفاق- السفراء. وطلب السفراء من ميخائيل ان يتنازل أولاً عن سالونيك وعن جميع الأراضي الواقعة بينهما وبين القسطنطينية. فرد ميخائيل رداً مرضياً وهو انه يعتبر سالونيك موطنه الأصلي ومسقط رأسه، ولا يستطيع التخلي عنها. ثم طلب السفراء منه سيرس Serres والإقليم الواقع شرقي هذه المدينة وحتى القسطنطينية، فصرح ميخائيل أن هذا الإقليم كان المركز الأول الذي تولى قيادته العسكرية لذا فهو لا يستطيع التخلي عنه. وعندما قَصَرَ السفراء اللاتين مطلبهم على الإقليم الواقع شرقي

فوليرون Voleron ، أكد لهم ميخائيل أنه يحتفظ بتلك البقعة لإشباع هوايته المفضلة ألا وهي الصيد . ولما يئس اللاتين طالبوه بأن يحدد الأرض التي ينوي التنازل عنها لهم وهم لن يقولوا لا . وطالب ميخائيل في الواقع بنصف الرسوم الجمركية ، ونصف دخل دار الضرب في القسطنطينية كثمن للسلام . ويعكس تصرف ميخائيل هذا انتصاره المتوقع والمنتظر بالتأكيد .

وفي هذه المرحلة الأخيرة من تاريخ الإمبراطورية اللاتينية ظهر من مد لها يد العون والمساعدة وكذلك الحماية . فقد حصلت ماري من بريين في ١٢٥٨م من ابن عمها الفونسو العاشر «الحكيم» ملك قشتالة Castile على المال اللازم لفك رهن ابنها التعس فيليب كورتناي من دائني أبيه بلدوين الثاني البنادقة . واخيراً أصبح فيليب حراً طليقاً قبل أول مايو ١٢٦١م . وكان من الطبيعي أن تتجه الإمبراطورة ماري ، ابنة الأخت الكبرى المفضلة بلانش القشتالية - نحو الفونسو إذ كان إخوتها الثلاثة نبلاء مقدمين بارزين في بلاطه .

وكان بلدوين في بداية عام ١٢٤٦-١٢٤٧م قد حاول الحصول على مساعدة عسكرية من رئيس طائفة أو جماعة القديس جيمس St. James الإسبانية ، غير أن المفاوضات باءت بالفشل(١٨٣) . لذلك ففي أواخر عام ١٢٥٠م كان الفونسو العاشر يسعى من اجل الحصول على التأييد الكافي من أجل أن يعترف به الجميع إمبراطوراً على الغرب . وكانت مساعدته للإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية إحدى الوسائل التي استخدمها ليزيد من مكانته ويرفع من هيبته . فخطب إحدى بناته لفيليب كورتناي ، ويبدو أنه حقق نجاحاً من خلال الزواج القشتالي أو تقديم المساعدة العسكرية القشتالية للإمبراطورية اللاتينية(١٨٤) .

غير ان بلدوين الثاني لم ينتهز الفرصة ويستخدم المساعدة القشتالية في إعادة التوازن في الشرق . وفي بواكير عام ١٢٦٠م تآمر ميخائيل من اجل الاستيلاء على القسطنطينية بلا حصار تام ، ولكن بالاتفاق مع نبيل لاتيني(١٨٥) كان قد وقع اسيراً في معركة بلاجونيا ، واطلق ميخائيل سراحه لقاء أن يفتح واحدة من بوابات المدينة ، وأن يسمح لقوات ميخائيل بدخول المدينة عن طريقها إذ كان منزله داخل أسوار المدينة . ولكن لم ينفذ الأمير اللاتيني ما تم الاتفاق عليه ، واقتنع ميخائيل بضرورة حصار المدينة من جميع الضواحي أو النواحي ، غير ان جالاتا Galata (١٨٦) قاومت الحصار بنجاح . وَعُقِدَتْ هدنة لمدة عام بين اليونانيين (البيزنطيين) وبين اللاتين . ولكن كان بلدوين في أشد حالاتَ الفقر والفاقة لدرجة أنه انتزع الرصاص من سقوف القصور في القسطنطينية ليوفر المال اللازم .

ورغم الأزمات الجديدة ، إلا أن البنادقة اتخذوا خطوة يمكن بها الحفاظ على الإمبراطورية اللاتينية مدة اطول . فقد طلب دوج البندقية رينير زينو Renier Zeno ومجلسه من النائب عن وليم أمير آخايا الأسير ومن بارونات المورة ، وحكام أثينا ونيجروبونت ، وكريت ، وليمنوس Lemnos ودقية الأرخبيل وغيرهم أن يتحدوا معاً بغرض إقامة حامية

منظمة في القسطنطينية تتألف من الف رجل، وستدفع البندقية راتب هؤلاء من حصتها، وتضمن الحصول على ضمانات من شركائها الاخرين ومن حصصهم أيضاً(١٨٧). ولكن هذا التقارب العملي من أجل الدفاع عن العاصمة جاء متاخراً أيضاً. ولا يوجد دليل على اتخاذ أية إجراءات أخرى وربما لتوالي الأحداث.

وقبل أن يلتفت ميخائيل الثامن باليولوجوس نحو اللاتين، أمّنَ نفسه في أوروبا وآسيا وذلك بالدخول في مفاوضات وعقد المعاهدات مع البلغار، والسلاجقة، والمغول، وذلك من أجل أن تكون ضربته الموجهة للقسطنطينية قاضية. وادرك ميخائيل أنه في حاجة إلى قوة بحرية وهي غير متاحة في نيقية. لذلك ولى وجهه شطر الجنوية خصوم البنادقة ومنافسيهم، وكان البنادقة قد طردوا الجنوية مؤخراً من عكا (١٢٥٨م)(١٨٨). ومن ثم فقد كان لدى الجنوية رغبة في تحدي سخط البابا واستيائه من أجل أن يكسبوا حليفاً أكثر نفعاً وفائدة لهم؛ ويبدو أنهم قدموا العروض الأولى لميخائيل.

ووقع الطرفان معاهدة في نيمفايوم Nymphaeum (١٨٩) في ١٣ مارس ١٢٦١م، وتم التصديق عليها في جنوة في ١٠ يوليو. وتعهد الجنوية بمقتضى هذه المعاهدة أن يزودوا ميخائيل بأسطول يزيد عدد سفنه على خمسين سفينة حربية، على أن تستخدم هذه السفن ضد اعداء جنوة وأن يتحمل ميخائيل النفقة عليها. في مقابل أن تسمح نيقية للتجار الجنوية بالمرور عبر أراضيها مع الإعفاء من الرسوم الجمركية، وتتنازل لجنوة عن سميرنا smyrna، ويكون أحياءً في كل الموانئ البيزنطية الرئيسة بما فيها القسطنطينية، والتي حصل الجنوية فيها على جميع ممتلكاتهم السابقة بل وعلى الممتلكات التي كانت تخص البنادقة. وتضمن الاتفاق أيضاً أن يظل البحر الأسود مغلقاً في وجه جميع أعداء جنوه فيما عدا بيزا Pisa، ويقوم رعايا جنوة بالخدمة في جيوش نيقية، وتتولى السلطات النيقية قيادة السفن الجنوية في المياه النيقية للمساعدة في الدفاع عن الحصون(١٩٠).

ولكن قبل أن تستطيع جنوة إرسال اسطولها إلى الشرق، وقبل أن يتم التصديق على المعاهدة، استولت جيوش ميخائيل على القسطنطينية. وفي ربيع عام ١٢٦١م، أرسل ميخائيل جيشين إلى الغرب، الأول بقيادة أخيه الديسبوت يوحنا لمواجهة ميخائيل الثاني أمير ابيروس، والآخر بقيادة القيصر الكسيوس استراتيجوبولوس Alexius Strategopoulus لمواجهة البلغار، وعليه ان يظهر مدى قوته العسكرية عند عبوره القسطنطينية من أجل إشاعة الرعب والخوف بين اللاتين.

وكان سكان المناطق المحيطة بالعاصمة وضواحيها -بين بحر مرمرة والبحر الأسود- من الفلاحين والصيادين اليونانيين (البيزنطيين) الذين اعتمدت عليهم المدينة في الحصول على الطعام، ويسميهم المؤرخ جورج باخمير George Pachymres الـ The lematarioi أو

المتطوعين Voluntaries ، لأن ولائهم وإخلاصهم لليونانيين (البيزنطيين) أو للاتين كان يرجع إلى رغبتهم وميولهم . وكان من حقهم الدخول إلى المدينة في حرية . وقد جعلتهم عواطفهم ومشاعرهم نحو اهليهم وقوميتهم -عملاء مخلصين لميخائيل الثامن ، الذي اتصل كذلك ببعض اليونانيين (البيزنطيين) الذين يعيشون في داخل المدينة والموالين اسمياً للاتين . واستخدم استراتيجوبولوس المتطوعين في حملته ، فقد أخبروه بوجود ممر ضيق ، أسفل أسوار المدينة ، يتسع لعبور رجل واحد بسلاحه .

وعلاوة على ذلك ففي لحظة وصول استراتيجوبولوس ، كان البودستا البندقي ماركو جرادينجو Marco Gradenigo- وكان محارباً نشطاً بصفة خاصة ، ووطد العزم على العمل بروح بندقية جديدة من اجل الدفاع عن القسطنطينية- قد جمع معظم المدافعين عن المدينة من اللاتين على ظهر سفينة للهجوم على جزيرة دافنوسيا Daphnusia الواقعة على البحر الأسود وعلى بعد حوالي سبعين ميلاً شرقي البوسفور Bosporus وبذلك خلت القسطنطينية من المدافعين عنها . ومن الممكن ان يكون ميخائيل الثامن قد رتب لذلك من اجل ان يجعل دافنوسيا كطعم وبالتالي تصبح العاصمة بلا دفاع تقريباً .

وفي هذه الظروف المناسبة تمكن استراتيجوبولوس من أن يدخل رجاله إلى المدينة عبر الممر الضيق ، حتى أصبح عددهم كافياً للهجوم على حراس الأسوار من اللاتين ؛ ثم فتحوا البوابات من الداخل وسمحوا بذلك لبقية اليونانيين (البيزنطيين) بالدخول . ومن المحتمل أن يكون بعض المتطوعين the Lematarioi قد سمحوا لهم بالدخول إذ كانوا قد وضعوا سلالم داخل الأسوار . وقتل اليونانيون الحراس ، وفتحوا بوابة الربيع The Gate of Spring انتظاراً لوصول الجيوش البندقية . وانتشر اليونانيون على الفور في الداخل ، ودار القتال في الظلام في عدد من شوارع المدينة لإتمام العملية . وهرب بلدوين الثاني من قصر بلاشيران Blachernae على القرن الذهبي إلى قصر بوكليون (فم الأسد) boukoleon على بحر مرمرة تاركاً خلفه غطاء الرأس الأرجواني الإمبراطوري المصنوع وفقاً للرسوم اللاتينية والمزين بياقوتة حمراء كبيرة ، وكذلك السيوف الإمبراطورية الملفوفة بالحرير الأرجوانية ، وكذلك الأحذية الأرجوانية .

وأسرع الأسطول عائداً من جزيرة دافنوسيا ، وعندما وصل وجد الفاتحين اليونانيون (البيزنطيون) قد أشعلوا النيران في الحي التجاري الواقع على جانبي القرن الذهبي ، حيث تقطن بعض العائلات البندقية وقد قام استراتيجوبولوس بذلك بناء على نصيحة أحد اليونانيين وهو يوحنا فيلاكس John Phylax -كان موضع ثقة بلدوين الثاني ثم انصرف عنه بسرعة وانحاز إلى بني جلدته . وعندما دخلت السفن البندقية الميناء وجدت النساء والأطفال والرجال يصيحون طالبين المساعدة إذ كانت منازلهم وموانيهم قد اشتعلت فيها النيران . وأنقذ الأسطول الضحايا وأتمت قوات استراتيجوبولوس احتلال العاصمة بدون عقبات . واندفع بعض اللاتين نحو الأديرة

في محاولة للتخفي في لباس الرهبان، بينما اختفت نساؤهم في بعض الأركان المظلمة. وفر بلدوين الثاني بعد أن جرح أحد ذراعيه وأصابه الجوع كذلك، وأنقذته سفينة تابعة لوكالة Ca' Pesaro البندقية.

وأبحر الأسطول نحو ايوبيا Euboea، ولكن بمؤونة غير كافية، لذلك مات عدد من الهاربين من الجوع. وفي نيجروبونت Negroponte رحب ببلدوين أتباعه من حكام الجزيرة، وحاكم أثينا، ودوقات الأرخبيل، وعين هناك بعض الفرسان، وباع بعض المخلفات والآثار؛ ثم أبحر بلدوين إلى إيطاليا، وهناك استقبله مانفرد Manfred بالترخاب واعتبره من مساعديه الأقوياء، وكانت الصداقة التي ربطت بينهما قد أدت إلى إثارة شكوك البابوية، وأضعفت من التحالف القشتالي الذي اهتمت به الإمبراطورة ماري وكانت راعية له. ثم أبحر بلدوين حاملاً معه «مجرد ظل لاسم كبير»(١٩١). وراح يدبر المكائد من أجل الحصول على مساعدة لاسترداد القسطنطينية، ولكن باءت محاولته بالفشل وأصابته خيبة الأمل.

وعلم ميخائيل الثامن بانتصار استراتيجوبولوس وهوفي Meteorium فتقدم في ١٥ أغسطس عام ١٢٦١م نحو بيزنطة ودخلها من البوابة الذهبية في موكب مهيب تتقدمه ايقونة العذراء المقدسة «الـ Hodegetria» وكانت بيزنطة قد أمست خاوية على عروشها، خالية من سكانها، في حاجة ماسة إلى الإصلاح بعد الاحتلال اللاتيني الطويل لها، ولكن هذا لا يمنع من أنها ظلت المدينة المقدسة في العالم اليوناني (البيزنطي). ووصل الموكب إلى كنيسة آيا صوفيا حيث توج ميخائيل إمبراطوراً وحصل على لقب باسيليوس Basileus. وبذلك انتهى حكم اللاتين.

وهكذا حكم على الإمبراطورية اللاتينية بالفشل من البداية، ولم تعود في التاريخ أكثر من نقطة أمامية أو مقدمة للمشروع الاستيطاني البندقي وكذلك للاقطاع الفرنسي واللمباردي على الأرض اليونانية (البيزنطية). غير أن ادعاءاتها الفرنجية وجهود أحكم أباطرتها، وكذلك جهود عدد من البابوات لدرء الصدع وعلاج الجرح وإعادة العلاقات بين اللاتين واليونانيين (البيزنطيين) قد جذبت اهتمامنا. ومما يثير الدهشة أن الحكم اللاتيني عمق الخلاف وزاد من الكراهية بين المسيحيين الشرقيين والغربيين، بالرغم من أن ميخائيل باليولوجوس -خوفاً من أن يعتدي عليه الغرب ثانية- وافق في عام ١٢٧٤م على اتحاد الكنيستين، ولكنه لم يلق من شعبه سوى القليل من التأييد. لذا ظلت موافقته بلا قيمة. وستجد أحد أباطرة المستقبل يتحول شخصياً إلى العقيدة الرومانية في عام ١٣٦٩م. ولم يمر حكم أحد الأباطرة بدون مفاوضات لتحقيق الوحدة، وسوف تعقد في مجمع Ferrara - Florence معاهدة جديدة، ووقعت أخيراً في عام ١٤٣٩م، ولكن مع ذلك لم يكن ممكناً كسب الرأي العام لتأييد الاتحاد مع اللاتين المكروهين، وإن كان خطر الأتراك الشديد قد جعلها ممكنة، فقد فضل اليونانيون (البيزنطيون) الأرثوذكس

عامة - فضلوا عمامة السلطان على قبعة الكاردينال . وبعد عام ١٢٦١م ومع ادعاء الإمبراطورية البيزنطية لحكم العالم إلا أنها لم تتعد كونها دولة بلقانية مسلوبة الأراضي ضعيفة الموارد، حتى سقطت في يد الأتراك في عام ١٤٥٣م ورثتها الروحانيين . وأسهم الروس الذين نقلوا الأرثوذكسية على مضض إلى الغرب، أسهموا في فشل المعاهدة التي عقدها الإمبراطور مع البابوية Ferrara Florence . ونظراً لأن القسطنطينية عوقبت على تركها الأرثوذكسية، فإن موسكو وموسكو وحدها أصبحت بإصرار رجال كنيستها المالك الأوحد للحقيقة أو للعقيدة . وفي الواقع أن الأعمال البشعة التي قامت بها الحملة الصليبية الرابعة، وفترة الحكم اللاتيني لبيزنطة تمثل شرخاً بين العالم الأرثوذكسي وبين الغرب لم ينصلح حتى يومنا هذا .

هوامش الفصل الثاني عشر

(١) لم تمض مصادرنا الأصلية الممتازة عن الحملة الصليبية الرابعة سواء أن كانت غربية أم بيزنطية- طويلاً بعد الحديث عن قيام الإمبراطورية اللاتينية . فتتوقف رواية فلهاردون عند أحداث ١٢٠٧م، ويسجل روبرت كلاري حدثاً واحداً متأخراً يرجع إلى عام ١٢١٦م، ولكن بعد عام ١٢٠٥م يكتب مما سمعه فحسب، وأغلق نيقتاس تاريخه في عام ١٢٠٦م . ولا تخلو المصادر الأصلية لفترة الإمبراطورية اللاتينية من مثل هذه المصادر . فقد عثر على رواية فرنسية قديمة لهنري فالنسيان وهي بعنوان تاريخ الإمبراطور هنري :
Henry of Valenciennes, Histoire de L'empereur Henri, ed, and tran. N. de Wailly.
وتعد هذه الرواية مكملة لرواية فلهاردون وتغطي الفترة من ١٢٠٧-١٢٠٩م ونشرها ويللي في طبعته لكتاب فلهاردون (باريس ١٨٧٤م) صفحات ٣٠٤-٤٢٠ ونشرها كذلك :
J. Longnon (Paris 1948), in The Documents relatifs a L'histoire des Croisades, . publies par L'Academie des Inscriptions et Belles Lettres.
ويستمر تاريخ ارنول ليزود بمعلومات في حاجة إلى تأكيد من المصادر الأخرى . وبالنسبة للفترة من (١٢٢٥-١٢٤٢م) يجب الاعتماد على : - Chronique rimee de Philippe Mouskes (ed. [F] de Reiffenberg, Brussels 1838). II, وكذلك الاعتماد على مجموعة التواريخ المنشورة وأيضاً مجموعة : MGH, SS., XXVI . والتاريخ الفرنسي القديم : La Cronique . de, Venecient de Maistre Martin da Canal, ed. F. L. Polidon, Archivio
أما عن المصدر اليوناني (البيزنطي) الأصيل المتفرد والأكثر أهمية للفترة كلها (١٢٠٤-١٢٦١م) فهو جورج أكروبوليتا : (Georgii Acropolitae Opera (ed. A. Heisenberg, Leipzig, 1903, I) ولكن هذا التاريخ يتعرض للاتين من حين إلى آخر، وتظهر المعلومات المفصلة فيه للأحداث مع بداية عام ١٢٠٤م فحسب . أما ما كتبه جورج باخمير عن ميخائيل واندرونيق باليولوجوس فهو مفيد وهام للسنوات الأخيرة من الاحتلال اللاتيني .
George Pachymeres, De Michael et Andronico Palaeologis, Libri XIII (2vols, C.S.H.B, Bonn 1835). كذلك نقفور جريجوراس، التاريخ البيزنطي، وهو مفيد أحياناً : Gregoras, Byzantina Historia (3vols, C.S.H.B, Bonn.1829-1855). والرواية اليونانية لتاريخ لمورة أو

لحولية المورة، نشر J. Schmitt لندن ١٩٠٤م، ونشر P. Kalonaros، أثينا ١٩٤٠م، وهناك روايات فرنسية وارجونية تمد الموضوع بتفاصيل أحياناً (أنظر الحاشية البيلوجرافية للفصل السابع). A. Heisenberg, "Neue Quellen Zur Geschichte des lateinischen Kaisertums und der Kirchenunion, Sitzungiberichte der Bayerischen Akademie der Wissenschaften, Philiosophisch-Philologische und historische Klasse (Munich 1922-1923), I, II, and III. ونشرت النصوص الهامة للغاية لرئيس أساقفة أفسوس اليوناني ويدعى نيقولاس ميسارتيس Nicholas Mesarites M. A. Andreeva, "A propos de l'eloge de l'empereur Jean III Batatzes par Son fils Theodore II Lascaris", Annales de l'Institut Kondakov (Seminarium Kondakovianum), X (1938), 133-144, وبه نص هام. وتشمل المصادر الوثائقية الغربية الأصلية المجموعات البندقية لكل من: R. Morozzo della Rocca, A. Lombardo (2vols, Turin. 1940)

وكذلك توماس وتافل وقد ذكرا في الهامش البيلوغرافي للفصل الخامس. وكذلك أشير إلى مراسلات البابا أنوسنت الثالث. أما بالنسبة لهنوريوس الثالث خليفة أنوسنت فلدينا عمل غير متكامل: P. Pressutt, Regesta Honorii papae III (2vols. Rome,1888-1895). وكذلك بعض النصوص الكاملة للخطابات الخاصة به في: Honorii III Romani pontificis opera omnia (ed. C. Horoy, Medii aevi biblioteca patristic seu eiusdem temporis patrologia, 4. Vols, Paris,1878-1880) كذلك الخطابات المنشورة والتي تتعلق بالإمبراطورية اللاتينية والتي نشر وولف: R. L. Wolff, Politics in The Latin Patriarchate of Constantinopl, 1204-1261, Dumbarton Oaks Papers, VIII(1954) 225-303

أما بالنسبة للبابوات الذين خلفوا هنوريوس على العرش البابوي فلدينا طبعات فاخرة للمراسلات أصدرتها المدرسة الفرنسية في أثينا وروما P L, Ecole Francaise d'Athenes et de Rome وكذلك سجلات جريجوري التاسع والتي نشرها:

L. Auvray, Les Registres de Gregoire IX (3vols, Paris,1899-1910) وسجلات أنوسنت الرابع التي نشرها: E. Berger, Les Registres d'Innocent IV (4vols, Paris,1884-1910)

وسجلات الكسندر الرابع والتي نشرها:

C. Bourel de la Ronciere, Les registres d'Alexandre IV (2vols, Paris,1902-1911)

وعن الخطابات الهامة التي لا تحتوي عليها السجلات أنظر: -

K. Hampe, "Aus vertorenen Registerbanden der Papste Innocent III und Innocent IV", Mitteilungen des Instituts Fur Osterreichische Geschichts Fraschung XXIII (1902), 545-567, XXIV (1903), 198-237., F. Schillmann, "Zur byzantinischen Politik Alexanders IV", Remische Quartalschrift XXII (1908) Part 4, 108-131., J. Van den Gheyn, " Lettre de Gregoire IX concernant l'empire Latin de Contantinople R. O. L, IX(1903) 230-234.

وعن خطابات الأباطرة اللاتين المقترحة أنظر: -

RHGF, XVIII, 527 ff., Tafel and Thomas, Urkunden Passim; P. Lauer, Un Lettre inedit d'Henri I er d'Angre empereur de Constantinople, aux prelats Latins

Melanges offerts a M. Gustave Schlumberger, I (Paris 1924), 190 ff., A. Teulet, Layettez du trezor des Chartes, II, III, (paris 1866). Passim; (Jean) du Bouchet, The: وانظرHistoire genealogique de la maison royale de Courtenay (paris 1661), "Preuves" , F. Dolger, Facsimiles byzantinischer Kaiserurkunden (Munich, 1931)

وانظر أيضاً مجموعات المصادر الوثائقية الأخرى الهامة الضرورية في : -

A. Theiner (ed), Vetera monumenta Slavorum meridionalium historiam illustrantia (2vols, Rome and Zegreb, 1863-1875)., vetera monumenta historica Hungariam Sacram illustrantia (2vols. Rome, 1859-1860).

V.Vasilievskii, "Epirotica Saeculi XIII",Vizantiiski - : أما الوثائق اليونانية فجاءت ضمن
Jean Apocaucus, metropolitan of: ومـــراســـلات Vremennik, II (1895), 233-299,
Naupactus (Lepanto).; J. B, Pitra, Analecta Sacra et classica spicilegio solesmensi
Demetrius ومـراسـلات ديمـتـريـس خـومـاتـيـانـوس parata, VI (Paris and Rome, 1891);
J. B. Cotelerius [Cotelier], Ecclesiae Graecae ، مـطـران أوخـريـدا Chomatianus
وفيما يتعلق بالببليوجرافيا الخاصة بقوائم أسماء الأساقفة ورؤساء الأساقفة monumenta (paris, 1686), III.
R. L. Wolff, "The Organization of the Latin Patriarchate - : اليونانيين واللاتين ومناقشتها أنظر
أما المادة البلغارية التي تتعلق بتاريخ of Constantinople, "Traditio, VI (1948), 33-60. M.
G. Popruzhenko, "Sinodik Tsarya Borila", Izvestiya - : الإمبراطورية اللاتينية فتشتمل
Russkago arkheologicheskago instituta V Konstantinoplie, V (1900), G. A. Ilinskii, "Gramota Tsarya Ioanna Asienya II", Lbid., VII (1902), 25-39, F. I. Uspenskii, "O drevnostyakh goroda Tyrnora, Lbid. 1-24, M. Lascaris, Vatopedikata gramota na tsar Ivan Asienya II(Sofia,1930).V. N.Zlatarski,"Asienoviyat Nadpis Pri Stanimaka ", Izvestiya na Bulgarskoto arkheologichesko druzhestvo, II (1911), 231-247.

ومن بين الكتابات الثانوية التي عالجت موضوع الإمبراطورية اللاتينية ثلاثة أعمال فقط عالجت الموضوع ككل، واثنين منها ما زالت على درجة كبيرة من الأهمية وهذه الأعمال هي :

C. du F. du Cange, Histoire de l'empire de Constantinople sous les empereurs (Francais (1st edition , Paris 1657; edition ed. J. A. Buchon, 2vols Paris, 1826).
Hopf, s "Griechenland im Mitte - : والـصـفـحـات (٦٧ ومـا يـلـيـهـا و ٢٤٦ ومـا يـلـيـهـا) في
Later . . . . . .»، وذكر من قبل في حواشي الفصل الخامس.

J. Longnon, L'Empire Latin de Constantinople et la principaute du Moree - (Paris,1949). ويعتبر هذا الكتاب دراسة حديثة ومعالجة جادة بالنسبة للموضوع.

E. Gerland, Geschichte des Lateinischen Kaiserreiches Von Konstantinopel, (Homburg V, d Hohe,1905)

وتحتوي هذه الطبعة على الجزء الأول من الدراسة إذ لم يقدر لها أن تكتمل، ولذلك غطت فقط الفترة ١٢٠٤- ١٢١٦م، ولكنها مع ذلك دراسة ممتازة.

L. Santifaller, Beitrage Zur Geschichte des Lateinischen Patriarchats Von (Konstantinopel, (Weimar,1938)

وتحلل هذه الدراسة خمس وثائق جدية عن البطاركة اللاتين، وتطور السلك الكنسي الكاتدرائي في آيا صوفيا وانظر أيضاً المجلة التي وضعها . J. Longnon, Journal des Savants (1941), P. 174 ff وقد نشرت وثيقتين جديدتين .

(٢) ووصف روبرت كلاري هذا القصر وصفاً رائعاً دقيقاً انظر، فتح القسطنطينية، الترجمة العربية، ص١٢٤-١٢٦ . (المترجم)

(٣) يقصد به اتفاق مارس ١٢٠٤م بين الصليبيين والبنادقة وعنه انظر الفصل الخامس من هذا الكتاب والذي يحمل عنوان الحملة الصليبية الرابعة . (المترجم)

وفيما يتعلق ببونيفاس واختياره للتاج فإلى جانب توليه قيادة الجيوش الصليبية فقد صاحب الأمير البيزنطي الكسيس بن اسحق الثاني في رحلته وفي تجواله، وظهرت شجاعته في كثير من المعارك، وكان معروفاً لدى البيزنطيين لأنه عزم على الزواج من مرجريت أرملة اسحق الثاني، وكان معروفاً عند اللمبارديين لجنسيته، وعند الألمان لصلة القرابة التي تربطه بفليب السوابي، لذلك فقد رغب هؤلاء جميعاً في ترشيحه لمنصب الإمبراطور . انظر ليلى عبد الجواد اسماعيل، السياسة الخارجية، ص٣٦ . (المترجم)

(٤) وتتمثل ولاية سالونيك التي تزعم اسرته أنها ملك لها، وأراد بونيفاس بزواجه من مارجريت استمالة البيزنطيين من ناحية، وتهديد بلدوين منافسه على عرش الإمبراطورية اللاتينية من ناحية أخرى . لمزيد من التفاصيل عن بونيفاس أنظر : الفصل الخامس من هذا الكتاب . (المترجم)

(٥) تذكر بعض المراجع أن العامة حيوا المركيز بونيفاس بالكلمات الآتية : Hagios Vasilieas Marchio P.286 انظر : Com. Med. Hist, 4, Part. I(1966)

(٦) استقر رأي البارونات على أن يكون الناخبون من بين رجال الدين في الحملة ومن الأساقفة ورؤساء الأديرة، لأن طابع هؤلاء الديني سيضمن حكماً منزهاً بعيداً عن الهوى . وعن أسماء هؤلاء الناخبين انظر : Hazlitt, The Venetien Republic, Its Rise, Its Groth and its Fall. 2 vols. New York 1966, I, P. 306, Lebean, Histoire du Bas Empire, T,17,P.157 ليلى عبد الجواد اسماعيل، «السياسة الخارجية للمملكة اللاتينية في القسطنطينية» رسالة ماجستير غير منشورة، ١٩٨٠، ص٣٥ . (المترجم)

(٧) الحقيقة أن هناك دوافع دعت البندقية إلى اختيار بلدوين دون بونيفاس ومنها خوف الدوج من أن تتحول الإمبراطورية الجديدة في ظل بونيفاس إلى قوة كبرى تتعارض مصالحها مع مصالح البندقية، في حين أن بلدوين كان أضعف من أن يقاوم نفوذها، فضلاً عن أنه كان أكثر ليناً وانقياداً من بونيفاس، هذا إلى جانب أن ممتلكات بونيفاس في لمبارديا كانت قريبة جداً من البندقية مما يسهل عليه غزو أراضيها والاعتداء عليها . إلى جانب أن بونيفاس كان حليفاً وصديقاً ويمت بصلة قرابة لفيليب السوابي ولأسرة الهوهنشتاوفن، التي كانت لها أطماع واضحة في إيطاليا . لمزيد من التفاصيل انظر : رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، جـ٣، ص٢٢٤ .
Com. Med. Hist, 4, Part. I, P. 421., Hazlitt, The Venetien Republic, I, P. 310., Longnon, L'empire Latine, pp. 50-51.
. (المترجم)

(٨) هناك رواية بندقية متأخرة لم تنشر بعد ووردت في حوليات كتبها Nicholas Trevisano، تسجل رواية مختلفة للانتخاب، فتقول أنه في الجولة الأولى من الانتخاب، اجمع الناخبون البنادقة الستة على ترشيح هنري داندولو إمبراطوراً، وأجمع الناخبون الصليبيون الستة على بلدوين، ثم ما لبث اوكتافيان قوريني Octavian Querini أن غير صوته قائلاً : أن انتخاب الدوج إمبراطوراً سوف يؤدي بجميع الفرسان القادمين

من وراء الألب لمغادرة الإمبراطورية والتخلي عنها مما يؤدي إلى انهيارها . ومع أهمية هذه الرواية إلا أنها بما تذكره من أحداث لا تستطيع الوقوف في وجه الاتفاق العام بين المصادر الأخرى على أن الدوج لم يرغب على الإطلاق في أن يصبح إمبراطوراً ولا أي بندقي آخر ولكن نظراً لأن نيقولاس ترفيسانو نسبها لأكتافيان القوريني فربما نلمس صدى هذا من خلال شكر الدوج له . وعن نص الرواية انظر :

F. Thiriet, "Les Chroniques Venetiennes de la Marciana et Leur importance pour l'histoire de la Romanie greco - Venetienne" Melanges d'archeologie et d'histoire, ecole Francaise de Rome, LXVI(1954)265.

وتذكر روايات أخرى أن الانتخاب انحصر في ثلاثة أشخاص هم : داندولو وبونيفاس وبلدوين فلاندروز ، وأن كفة الميزان رجحت أولاً لصالح الدوج هنري داندولو ، إذ وقع اختيار الناخبين عليه ، غير أن بانتالون باربو البندقي الغيور علي وطنه -وهو أحد الناخبين- اعترض على هذا الاختيار الذي قد يترتب عليه : أن تسحق جمهوريته تحت ثقل الإمبراطورية الجديدة ، أو أن تنقل مقرها إلى القسطنطينية ، أو أن تصبح مجرد ولاية تابعة لهذه الإمبراطورية ، وأشار على الناخبين أن يتدبروا أمرهم ثانية ، وأن يحصروا الخيار بين بونيفاس وبلدوين . لمزيد من التفاصيل انظر :

Hazlitt, The Venetien Republic, I, P. 307 - 309, Lebean, Hist. du Bas. Empire, 17- PP. 159-161, Michanud, Hist. Des Croisades, T. 3, PP. 278-279.

ليلى عبد الجواد اسماعيل ، السياسة الخارجية ، ص٣٧ . (المترجم)

(٩) لمزيد من التفاصيل عن حفل التتويج انظر : روبرت كلاري ، فتح القسطنطينية ، الترجمة العربية ، ص١٣٧ .

Hendriokx, "Les institutions de l'empire Latin. Le Pouvoire imperal" dans Byzantina, T. 6 (1974), PP. 99-102. وعن الألقاب التي تلقب بها بلدوين انظر :

Patrologial atina, In Patrologia Curcus Compeletus, T. 215, ed. Migne, Paris 1855, cols, 510-511., Longnon, L'empire Latin de Constantinople, 52.

(المترجم)

(١٠) حصل على هذا المنصب كونون بيتون Conon Bethune وعن هذا المنصب انظر :

Hendrickx, Les institutions de l'empire Latin de Constantinople, La cour et les dignitaires. dans Byzantina, T. 9 (1977) PP. 210-211

(المترجم)

(١١) حصل على منصب المارشال جودفري فلهاردون ، ومنصب المارشال من كبار القادة العسكريين ويتولى أمور الجند المرتزقة ، ويفصل في المنازعات بينهم ، وهو المسؤول عن المراسيم والتشريفات في حفلات القصر . انظر ما سبق في الفصل الخامس من هذا الكتاب .

(١٢) حصل على وظيفة الساقي ميلون لوبرابان Milon Le Breban ، انظر : ليلى عبد الجواد اسماعيل ، السياسة الخارجية ، ص٣٩ . (المترجم)

(١٣) الكندسطبل : وهو قائد الجيش ، ويعتبر بحكم وظيفته من رجال الدولة الأقوياء ، كما كان يقوم بدور القاضي ليفصل في القضايا بين الفرسان أثناء المعارك والحروب وقد حصل هيج سانت بول على هذه الوظيفة في الإمبراطورية الجديدة . أنظر : Handrickx, Lesinstitution, PP. 198-200 وانظر أيضاً : ليلى عبد

الجواد، السياسة الخارجية، ص ل ، هامش إ، ص٣٩ . (المترجم)
(١٤) انظر ما سبق في الفصل الخامس من هذا الكتاب . (المترجم)
(١٥) انظر فلهاردوان، فتح القسطنطينية، الترجمة العربية، ص١٣٣ . (المترجم)
(١٦) يذكر فلهاردوان أنه طال الجدل وتشعبت مسالكه وتباينت الآراء حول هذه المسألة بين بلدوين وبونيفاس، غير أن الإمبراطور (أي بلدوين) وافق في النهاية على إقطاعه مملكة سالونيك، ومن ثم أعلن المركيز بتعيينه له . انظر، الترجمة العربية، ص١٣٤ . (المترجم)
(١٧) النص في، Tafel and Thomas, Urkunden, I, 464-501 وانظر المقدمة الهامة والتعليق الجغرافي في :

F.L.G.Tafel, "Symbolarum Criticarum geographian Byzantinam Spectantium partes duae: II," Abhandlungen der historischen Klasse derk. Bayerischen Akademie der Wissenschaften, V (1848), W. Tomaschek, "Zur Kunde der Hamus - Halbinscl," Sitzungsberichte der Wiener Akademie der Wissen Schaften, XCIX (1882), 437-507, CXIII (1886), 285-373, "Zur historischen Topographie von Kleinasienim Mittelalter," Ibid, CXXIV(1891),Section 8, K. Von Spruner and T. Menke, Handatlas Fur die Geschichte des Mittelalters und derneueren Zeit (Gotha, 1880), PP. 40- 41. وانظر التعليق في : L. de Thalloczy, C. Jirecek, and E. de Sufflay, Acta et diplomata res Albaniae mediae aetatis illustrantia I(Vienna 1913), 41 ff; D.A.Zakythinos,"M

XXI (1951), 179-217; XXII (1952), 159-182.

(١٨) أنظر : Hendrickx, Les Institutions de l'empire Latin -Le pouvoire imperal, P. 111, Longnon, L'Empire Latin, P.61 ليلى عبد الجواد إسماعيل، السياسة الخارجية، ص٤١ . (المترجم)
(١٩) الحقيقة أن المتأمل للمناطق التي حصل عليها البنادقة يدرك الروح العملية التي سادت جميع تصرفاتهم إذ حصلوا على أفضل الموانئ وأهم النقاط العسكرية وأصبحوا يتحكمون في عدة بحار هي بحر ايجة وبحر مرمرة والادرياتيك وبالتالي أصبح الطريق مأموناً أمام سفنهم التجارية، وضمنوا لأنفسهم السيادة المؤكدة على البحار الشرقية . (المترجم)
(٢٠) أكد تافل ذلك في (Symbolarum, P.127) منذ فترة طويلة، وإن كان لا يقبله، والحقيقة أن رأيه ظل مجهولاً، ويشعر كاتب هذا الفصل أن إجابات Lake Prespa وردوده تؤكد ذلك الاقتراح منذ كتبه تافل . أنظر بصفة خاصة : I. Ivavov,"Tsar Sumuilovata Stolitsa V Prespa," Izvestiya na Bulgarskoto arkheologichesko druzhestvo, I (1910) ,55 - 80 ويشير مصطلح «Dodecaniso» إلى كنيسة الرسل الإثني عشر، والتي أصبحت أهم كنيسة في الجزيرة، وعرفت الجزيرة باسمها .
(٢١) البرونيا هي قطعة من الأرض تمنحها الدولة لأحد الأشخاص في مقابل خدمة يؤديها لها، وكانت عادة

خدمة حربية، فصاحب البرونيا يقوم بتحصيل الموارد المالية في إقليمه من مؤجريه الزراعيين، وفي مقابل ذلك يخدم في الجيش مصحوباً بفرقته العسكرية بعد تجهيزها تجهيزاً حربياً. ومن ثم فنظام البرونيا أشبه بالنظام الإقطاعي في أوروبا. لمزيد منم التفاصيل أنظر: حسنين محمد ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٧٣، ١٩٩ وما يليها: Ostrogrosky, "La pronia" dans Byzantion, (1952) vol. XXII, PP.437-518
(المترجم)

(٢٢) البودستا Podesta من اللاتينية Potestas بمعنى سلطة أو قوة، وهو لقب كان يمنح لموظف كبير في كثير من المدن الإيطالية، فقد كانت هذه المدن ترسل موظفين يحملون هذا اللقب لإدارة شئون المدن التابعة لها، ومن أمثلة ذلك البودستا الذي كان يشرف على رعايا جمهورية البندقية في الشرق البيزنطي، أنظر ديل، البندقية جمهورية ارستقراطية، ص٤٧، حاشية رقم ١.
(المترجم)

(٢٣) وظل خلفاؤه يستعملون هذا اللقب حتى عام ١٣٥٦م. أنظر: Thiriet, La romanie Ventienne au moyen age. Paris 1959, P. 76., Vasiliev, Histoire de l'empire Byzantin, 2, P.114 ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص٤٢، ١٦١.

(٢٤) أنظر: Wolff, "A new document from the period of the Latin empire," dans Melanges H. Gregoire (1953), P.550. ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص١٦٤.
(المترجم)

(٢٥) بالنسبة للنص والتعليق أنظر:
L.R. Wolff, "A new Document from the period of Latin Empire of Constantinople: The Oath of The Venetian Podesta", Annuaire de l'Institut de Philologie et d'histoire Oriental et Slaves, XII (1952), Melanges Henri Gregoire, IV (Brussels,(1953),539-573

(٢٦) اصطلاح القومون يعني المدينة التي تتمتع بالاستقلال السياسي والحكم الذاتي، وفقاً لقوانين وتنظيمات تخدم مصالح الطبقة التجارية، ويختار أهلها حكامهم وموظفيهم بأنفسهم دون أن يكون هناك مندوب من قبل سيد أو حاكم خارجي يتحكم فيه. أنظر عادل زيتون، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دمشق ١٩٨٠م، ص٣٠.
(المترجم)

(٢٧) النص في: Tafel and Thomas, Urkunden, I, 571 ff

(٢٨) تحالف البلغار بقيادة كالوجان مع البيزنطيين ضد اللاتين وذلك بعد أن رفض الصليبيون ما عرضه من مساعدة بطريقة متكبرة متعالية، وهددوه بغزو أراضيه، وقام البيزنطيون -حلفاء كالوجان- بحركة تمرد عمت تراقيا كلها، وخرج الإمبراطور اللاتيني بلدوين من القسطنطينية للتصدي لهذا التمرد وقسم فرسانه، وتقدم كالوجان على رأس جيش جرار لملاقاتهم، وانتهى اللقاء بوقوع الإمبراطور بلدوين فلاندرز أسيراً في أيدي البلغار، وسقط عدد من رجاله في الميدان. لمزيد من التفاصيل أنظر: روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص١٠٣ Wolff, "The second empire of Bulgar" in Speculum, Vol. 27 (1949), P. 202 Wolff, "Baldwin of Flanders" In Speculum (1952), P.290. ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص٢١٨-٢٢١.

(٢٩) المحكمة العليا في بيت المقدس يرأسها الملك، وفي حالة غيابه يرأسها أحد كبار الأمراء، وأسسها جودفري البويوني، وكانت في بداية الأمر هيئة استشارية، وكانت اختصاصاتها هي: البت في الخلافات والنزاعات التي

تنشب بين الأفصال وأسويائهم أو بين الملك والأفصال، كما كان عليها الترخيص ببيع الإقطاعات وشرائها وتقسيمها، كما اشتغلت بمنح العقود الخاصة بالمتلكات الإقطاعية، وقضايا الوراثة والوصاية. ومنذ النصف الأول للقرن الثاني عشر غدت المحكمة العليا مجلس شورى الملك في الحرب والسلام، وفي المسائل المالية والقانونية والقضائية. لمزيد من التفاصيل انظر: عبد الحفيظ أحمد علي، «الحياة السياسية والاجتماعية عند الصليبيين في الشرق الأدنى في القرنين ١٢، ١٣»، رسالة ماجستير غير منشورة، القاهرة ١٩٧٥م، ص٣٦-٣٧.

(٣٠) النص في: Ibid, II, 49 ff.

(٣١) علم البابا انوسنت بانتخاب موروسيني كبطريرك لاتيني قبل نهاية يناير عام ١٢٠٥م، وعلم أيضاً بالطريقة التي تم بها الانتخاب، ولذا ندد بشدة بهذا الاختيار باعتباره لا يتفق ودستور الكنيسة، ولو أن موروسيني نفسه لم يكن عليه غبار، ولم يكن للبابا أي اعتراض عليه، فقد انصب اعتراض البابا على أن رجال الدين من البنادقة في كنيسة آيا صوفيا، ليس لهم حق اختيار أسقف لتلك الكنيسة، إذ «أنهم لم يعينوا فيها سواء من جانبنا أو من جانب مندوبنا البابوي، على حد تهيير البابا».

أنظر: Patrologia Latina, T. 215, Col. 512, Belin, Histoire de la Latinite de Constantinople, Paris 1894,PP 53-54.,Wollf,"Politics in the Latin Patriarchate of Constantinople 1204 - 1216 ", inDumbarton Oaks papers (1954), P.228. ليلى عبد الجواد أسماعيل، السياسة الخارجية، ص١٢١. (المترجم)

(٣٢) وقد ذهب أنوسنت الثالث إلى أبعد من ذلك فقد أمر الإمبراطور بلدوين والدوج داندولو بأن يحسنا استقبال موروسيني وبصورة ودية تنم عن الصداقة وأن يكرموه ويحموه ويبجلوه. بل وكتب أنوسنت لموروسيني لكي يتنازل عن حقه في تعيين البطاركة في المستقبل، وعلى أن يتم اختيارهم طبقاً لإجراءات القانون الكنسي اللاتيني. وأكد البابا لموروسيني أنه لم يقصد أبداً أن يتطاول على امتيازات رجال الدين البنادقة في كنيسة آيا صوفيا. أنظر: Patrologia Latina, T. 215, Cols 517, 574-577., Wolff, Politics in the Latin Patriarchate, PP.229 -231. ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص١٢٢ وما يليها.

(المترجم)

(٣٣) لمزيد من التفاصيل عن الشقاق الكنسي والقطيعة الكبرى ١٠٥٤م انظر: اسحاق عبيد، روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين، ٨٦٩-١٢٠٤م، مصر ١٩٧٠م، ص٢١-٣٩، محمد حسنين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة ١٩٩٥م، ص١٦٣-١٦٥. (المترجم)

(٣٤) عقد هذا المجمع في مدينة القسطنطينية في عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير (٣٧٩-٣٩٠م) وهو أول مجمع يعقد بها، والثاني المسكوني، ومن أهم القوانين التي صدرت عن هذا المجمع القانون الثالث الذي ينص على: «أن يحتل أسقف القسطنطينية التقدمة في الكرامة بعد أسقف روما مباشرة لأن القسطنطينية هي روما الجديدة». لمزيد من التفاصيل عن قوانين هذا المجمع أنظر: حنانيا الياس، مجموعة الشرع الكنسي، ص٢٥٧-٢٨١، رأفت عبد الحميد، الدولة والكنيسة، جـ٤، ص٦٤-٦٥. (المترجم)

(٣٥) هو أحد ثلاثة مجامع مسكونية هامة في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية، أما المجمعان الآخران فهما مجمع نيتية ٣٢٥م ومجمع ترنت في القرن السادس عشر. وعن قرارات هذا المجمع وقوانينه انظر: كانتور، التاريخ الوسيط، القسم الثاني، ترجمة قاسم عبده قاسم، القاهرة ١٩٨٣م، ص٦٦٧. (المترجم)

(٣٦) وفي هذا الاجتماع طالب كابوانو من رجال الدين البيزنطيين أن يعترفوا بسيادة البابا الدينية ويسموه الروحي، فأجابوا بأن لهم بطريركهم الذي يخضعون له، ولم يعترفوا بسواه كرئيس لهم، فغضب الكاردينال كابوانو منهم

وهددهم، ففضل البيزنطيون الانسحاب على الاستمرار في النقاش. وتنبه الامبراطور اللاتيني بلدوين إلى عجز كابوانو عن تحسين العلاقات بين البيزنطيين واللاتين، فكتب إلى البابا يطلب منه إرسال مندوب بابوي جديد للبيت في المسائل المعلقة. لمزيد من التفاصيل انظر: Janin, "Aulendenain dela conqvete de Constantinople, Les Tentatives d'union de Eglises (1204-1208) dans E'chosd Orient (1932) P.110. ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص١٣٣-١٣٤. (المترجم)

(٣٧) كان المندوب البابوي الجديد بندكت يتسم باللياقة والعدل وحسن الذوق، ذا تفكير حكيم عاقل، وله روح المستشار الحكيم، وكان خير رجل يقوم بمهمة تحقيق مشروع توحيد الكنيستين الشرقية والغربية، فقد تزود في روما من كتب اللاهوت الشرقي، كما اصطحب معه كترجمان رجلاً أهلاً للثقة وهو نيكولاس دوترانت وكان متخصصاً في الطقوس الشرقية. أنظر: Janin, Les tentatives d'union des Eghses (1204-1208) PP.12-13. (المترجم)

(٣٨) تشاور بندكت قس سوزانا مطران اثينا ميخائيل خونياس وغيره من الأساقفة البيزنطيين حول بعض المسائل المذهبية المتنازع عليها، غير أن نتيجة المفاوضات لم تكن في الحسبان فقد أظهر ميخائيل خونياس أنه يفضل أن يترك المركز الذي يشغله منذ أكثر من ثلاثين عاماً، وأن يعيش في المنفى على أن يخضع لروما وكنيستها. أنظر: Longnon, L'empire Latin, PP.93-94. ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص١٣٤-١٣٥. (المترجم)

(39) PL, CCXV, Col. 699 (no. 126); Potthast, Regesta, no. 2564, ١٢ يونية ١٢٠٥م

(٤٠) لمزيد من التفاصيل عن هذه المناقشات والمحاورات انظر: Janin, Les tentatives d'union, PP. 15-16, Longnon, L'empire, P.95-96 ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص١٣٥ وما يليها. (المترجم)

(٤١) مدينة نيقية تقع على الطرف الشرقي من بحيرة اسكانيوس في السهل الخصيب في بيثينيا، وعلى بعد أربعين ميلاً فقط من القسطنطينية -وكانت نيقية مشهورة في التاريخ البيزنطي إذ عقد بها مجمعين كنسيين، كما أنها امتازت بالاستحكامات القوية والقصور الفخمة والكنائس والأديرة.

Janin, "Nicee, elude historique" dans E'chos d'Orient (1925) pp. 482-487. Vasiliev, Histoire de l'empire Byzantine, T2, PP. 182-183. (المترجم)

(٤٢) التف رجال الدين حول ثيودور لاسكاريس في نيقية والذي تزعم حركة مقاومة اللاتين هناك وقد رحب بهم لاسكاري، وسمح لهم بانتخاب بطريرك جديد، وتقرر تعيين ميخائيل الرابع اتوريانوس Michel IV Autorianos كبطريرك لإمبراطورية نيقية، ثم قام هذا البطريرك بتتويج ثيودور لاسكاريس امبراطوراً. وبهذا أصبح للبيزنطيين إمبراطور وبطريرك معينين من قبلهم وبمحض إرادتهم، ولمزيد من التفاصيل أنظر: ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص٥٦، ١٣٨. (المترجم)

(43) L.R. Wolff, "The Organization of the Latin Patriarchate of Constantinople", In Traditio, VI(1948),33-60.

(٤٤) السسترشيان هم الرهبان البيض أو الرماديون، وقد لعبوا دوراً كبيراً في الحملة الصليبية الرابعة ١٢٠٤م وفي الإمبراطورية اللاتينية لمزيد من التفاصيل أنظر: Brown, "The Citercians in the Latin empire

of Constantinople", in Traditio, Vol. XIV (1958), P. 63 ff. وانظر أيضاً: ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص١٥٠-١٥٦. (المترجم)

(٤٥) الفرنسيسكان ويسمون أيضاً بالرهبان السود والأخوة الصغار، وينتسبون إلى القديس فرنسيس الأسسي، الذي ولد في أسس بإيطاليا عام ١١١٨م، وتوفي في عام ١٢٢٦م. أنظر منيس عبد النور، فرنسيس الأسسي، ص٧، وعن الدور الذي لعبه الفرنسيسكان في الإمبراطورية اللاتينية انظر: Wolff, "The Latin empire of Constantinople and Franciscans", in Traditio, Vol. 2 (1944), PP. 214 ff وانظر أيضاً ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص١٥٦-١٥٨.

(المترجم)

(٤٦) كان البنادقة قد انتزعوا من موروسيني قسماً مؤداه ألا يعين كاهناً ضمن جماعة رجال الدين في كنيسة آيا صوفيا إلا إذا كان بندقياً، أو قضى عشر سنوات في البندقية، وأن يبذل جهده من أجل أن يكون البطريرك بندقياً على الدوام. أنظر:

Wolff, Politics, P. 237, Longnon, "Le Patriarcat Latin de Constantinople" dans Journal des Savants (1941), P.177.

(المترجم)

(٤٧) ففي يوليو ١٢٠٦م أمر البابا بتعيين كاهنين جديدين في كنيسة آيا صوفيا، عينهما المندوبان البابويان بندكت وكابوانو وكان من غير البنادقة، وكان أحدهما إيطالياً ولكن ليس بندقياً ويدعى كلمنت، والثاني كان بلجيكياً (فلمنكياً) ويدعى والتر كورتيري Walter Courtrai. وفي يوليو ١٢٠٧م أمر البابا أنوسنت تعيين ويبرت Wibert كاهناً في كنيسة آيا صوفيا بواسطة الكردينال بندكت مندوبه في القسطنطينية كذلك في مارس ١٢١٠م طلب البابا من موروسيني أن يتلقى ثلاثة كهنة فرنسيين جدد. وهكذا كافح البابا خطة البنادقة عن طريق تعيين غير البنادقة بواسطة مندوبيه أنظر: patrologia Latina, T. 215, Cols. 944, 951, Wolff, Politics, P,238-239 ولمزيد من التفاصيل أنظر: ليلى عبد الجواد، السيسة الخارجية، ص١٢٥-١٢٧. (المترجم)

(٤٨) ظل منصب البطريرك شاغراً أكثر من أربع سنوات، دارت خلالها مجادلات ومناقشات بين رجال الدين الفرنسيين والبنادقة على منصب البطريركية. لمزيد من التفاصيل عن هذه المناقشات أنظر:

Wolff,Politics,PP. 246-252., Longnon, Le Patriacate, PP,177-178 (المترجم)

(٤٩) في عام ١٢١٩م توفي البطريرك جيرفاس بعد أن شغل منصبه لمدة أربع سنوات (١٢١٥-١٢١٩م) وواجه البابا الجديد هونوريوس الثالث نفس المجادلات والمناقشات بين الفرنسيين والبنادقة ولكن حسم البابا هونوريوس (١٢١٦-١٢٢٧م) حسم المسألة هذه المرة باختيار ماتيو أو متى أسقف جيسولو Matthaeus Jesolo

(المترجم)

(٥٠) كان البطريرك الجديد متى أسقف جيسولو بندقياً، ورجل معروف بتقواه وعلمه، كما كان راهباً فرنسيسكانياً، لذلك أمر البابا جماعة رجال الدين بحسن استقباله كما منحه كافة الحقوق التي كان يتمتع بها سابقيه موروسيني وجيرفاس وذلك في يناير ١٢٢١م. غير أن متى كان مثل زميله موروسيني وجيرفاس متعطشاً للسلطة والنفوذ، وجمع المال، فما إن وصل إلى القسطنطينية حتى اختلس -كما كتب البابا هونزيوس- مبلغاً كبيراً من أموال الكنيسة في القسطنطينية. لمزيد من التفاصيل أنظر: Mas Latrie, "Patriarches Latins de Constantinople" dans Revue de l'Orient Latin, T. III (1895), PP. 433-434., Wolff, Politices, PP. 254,278 - 279. ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص١٢٨ وما يليها.

(المترجم)

(51) L.R. Wolff, "Politics in Latin Patriarchate of Constantinople". Dumbarton Oaks Papers," VIII(1945(227-303.

(٥٢) قامت الإمبراطورية البلغارية الثانية في عام ١١٩٧م على يد القيصر البلغاري كالوجان Kalojean الذي تلقب بقيصر البلغار والولاسين. واعترف البابا أنوسنت الثالث في خطابه المؤرخ في ٢٥ فبراير ١٢٠٤م بكالوجان ملكاً على البلغار، بل وسمح له بأن يضرب عملة باسمه. لمزيد من التفاصيل انظر: Acropolitae, Annales, in C. S. H. B, P. 26., Patrologia Latina, T. 215, PP. 277-279., Wolff, "The Second empire of Bulgar", in Speculum, Vol. 24 (1949), PP.167-197 ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص٢١٨-٢١٩. (المترجم)

(٥٣) حاول القيصر البلغاري كالوجان التقرب من الصليبيين ومد يد العون والمساعدة لهم ولكنهم ردوه وصدوه بطريقة متكبرة متعالية وهددوه بغزو أراضيه فتحول إلى عدو لهم، ووقعوا بذلك في خطأ دبلوماسي فادح. لمزيد من التفاصيل انظر: ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص٢١٩ وما يليها.

(المترجم)

(٥٤) تقع مدينة طرابيزون على الشاطئ الجنوبي الشرقي للبحر الأسود، وتمتعت طرابيزون في العصر البيزنطي بشهرة تجارية واسعة إذ كانت تمر بها منتجات بلاد الروم التي ترد إلى الأقاليم الإسلامية الشمالية وبخاصة القماش النفيس. لمزيد من التفاصيل انظر: Miller, Trebizond, P.9. الاصطخري، المسالك والممالك، ص١٨٨، ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٤٤. (المترجم)

(٥٥) تامارا ملكة جورجيا كانت العنصر الحاسم في تكوين إمبراطورية طرابيزون، بل وأهم شخصية قامت بدور إيجابي في قيام إمبراطورية طرابيزون. لمزيد من التفاصيل انظر: Vasiliev, "The Foundation of the empire of Trabizond" in Sepculum, Vol XI (1936) PP.12-13/18-19 (المترجم)

(٥٦) وهناك عدة عوامل ساعدت الكسيوس ودافيد على السيطرة على طرابيزون ومنها حالة الفوضى الداخلية وتمرد السكان على أوضاعهم السياسية والاقتصادية، إلى جانب أن إقليم طرابيزون كان معزولاً عن سائر أقاليم الإمبراطورية البيزنطية الأخرى، وبالتالي لم يجد الحاكم طرابيزون من يقدم له يد العون والمساعدة. انظر ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص٥٩-٦٠. (المترجم)

(٥٧) ثيودور لاسكاريس، الحقيقة أن المصادر المعاصرة وعلى رأسها أكروبوليتا -مؤرخ نيقية- وفلهاردوان، لم تذكر شيئاً عن أصل ثيودور لاسكاريس المؤسس الأول لإمبراطورية نيقية، ولا عن مسقط رأسه، ولا عن أصل أسرته. وجل ما تذكره المصادر بهذا الشأن أن ثيودور تولى القيادة العسكرية تحت حكم الإمبراطور الكسيوس الثالث (١١٩٥-١٢٠٣م) الذي زوجه من ابنته آنا، لمزيد من التفاصيل انظر: فلهاردوان، فتح القسطنطينية، الترجمة العربية، ص١٤٩، Acropolitae, Annales, in C. S. H. B., P.12 ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص٥٣-٥٤. (المترجم)

(58) B. Sinogowitz, (Uber das Byzantinische Kaisertum nach dem Vierten (Kreuzzuge (1204-1205),) Byzantinische Zeitschrift, XLV(1952) 351-354

وقد قام بمحاولة ليثبت من خلالها أن الإمبراطور الذي وقع عليه الاختيار في آيا صوفيا هو قسطنطين لاسكاريس شقيق ثيودور، وأنه اعتلى العرش حتى بداية عام ١٢٠٥م فقط، ولكنها محاولة فاشلة.

(٥٩) تقع مدينة نيقية على الطرف الشرقي من بحيرة اسكانيوس في السهل الخصيب في بيثينيا، وهي مدينة

مشهورة في حوليات التاريخ البيزنطي إذ عقد بها مجمعين كنسيين كما أنه امتازت باستحكاماتها القوية وما حوته من قصور وكنائس وأديرة . أنظر : Janin, (Nicee, etude historique) dans Echos d'Orient (1925) PP.482-487. وانظر أيضاً : ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص٥٥ن هامش ٣ .
(المترجم)

(٦٠) تقع بروسا في إقليم بيثينيا إلى الشمال الغربي من آسيا الصغرى، جنوب غرب البحر الأسود .
(المترجم)

(٦١) أسس ميخائيل دوقاس إمارة ابيروس في شمال غرب اليونان، ونصب نفسه حاكماً مستقلاً عليها، وأخذ لقب الديسبوت Despot ، وطالب ميخائيل بلقب الإمبراطور باعتباره ابن عم الإمبراطور اسحق الثاني والكسيوس الثالث، وقد اعترف الإمبراطور الكسيوس الثالث رسمياً بإمارة ابيروس، وصدق على تبعيتها لمخائيل وحلفائه . لمزيد من التفاصيل انظر :
Nicol, The despotate of Epiros, PP. 13-15, Leenertz, (Aux Origines despotat d'Epire) dans Byzantion (1973) P. 366.
(المترجم)

(٦٢) أما عن المصير الذي آل إليه موروزوفلوس فانظر : روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، الترجمة العربية، ص١٤٧-١٤٩ .
(المترجم)

(63) A. Theiner (ed.), Vetera monumenta slavorum, I, 39, R. L. Wolff, (The second Bulgarian Empier), Its Origin and History to 1204, Speculum, XXIV(1949),167-206

(٦٤) لمزيد من التفاصيل انظر : فلهاردون، فتح القسطنطينية، الترجمة العربية، ص١٤٨ وما يليها؛ ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص٦١-٦٣ .
(المترجم)

(65) Ropert Clari, Conquete (ed Lauer), P. 104.
وانظر الترجمة العربية، ص١٤٨-١٤٩ ، وانظر أيضاً : فلهاردون، فتح القسطنطينية، الترجمة العربية، ص١٤٧،-١٤٦ .

(٦٦) فقد وصلت من بلاد الشام فئة كبيرة ممن كانوا قد انفصلوا عن الحملة مؤثرين على البندقية . غيرها من الموانئ، وجاء مع هؤلاء ستيفن دي بيرسن ورينولد دي مونتميريل وغيرهما . ولمزيد من التفاصيل انظر : فلهاردون، الترجمة العربية، ص١٥٠ .
(المترجم)

(٦٧) وقد تمكن بونيفاس من احتلال نابولي وكورنثة . لمزيد من التفاصيل عن الحصار انظر فلهاردوان، الترجمة العربية، ص١٥٣ , ١٥٥ .
(المترجم)

(٦٨) تقع مودون في جنوب المورة أو شبه جزيرة البيلوبونيز .
(المترجم)

(٦٩) لمزيد من التفاصيل عن فتح وقي ام إم ارة المورة انظر : فلهاردوان، الترجمة العربية، ص١٥٣-١٥٤ ،
Chronique de Moree, PP. 23-28. Acropolitae, Annales, In C.S.H.B.,PP.14 -15, Bon, La Moree Franque, I, PP.51-63
(المترجم)

(٧٠) نجح مارينو سانودو في فتح سبع عشرة جزيرة من جزر بحر ايجة دون مقاومة اللهم إل في جزيرة ناكسوس «لؤلؤة بحر ايجة» كما يسميها ميللر Miller . انظر : Miller, The Latins Levant, PP.43-44. (المترجم)

(٧١) كان الكونت هيج الذي استولى على قلعة ديموتيقا قد توفي، فوثب اليونانيون على فرسانه وجنوده وأنزلوا

أبلغ الضرر بالفرنجة، وأكثروا فيهم القتل والأسر، ولاذ الفارون إلى مدينة ادرنة، وهناك هرع أهل المدينة من اليونانيين إلى أسلحتهم وامتشقوها وأعلنوا الثورة وما لبثت الفتنة أن عمت معظم أجزاء تراقيا. لمزيد من التفاصيل انظر: فلهاردون، فتح القسطنطينية، الترجمة العربية، ص١٥٦-١٥٧. (المترجم)

(٧٢) كان مع رينيه ما لا يقل عن مائة وعشرين فارساً، فتخلى عنه ابنه وأخوه وابن أخيه وزوج ابنته، وأخذوا معهم نحو ثلاثين فارساً وذهبوا إلى القسطنطينية، لذلك لما رأى فرسان رينيه أن أقارب رينيه قد تخلوا عنه تركه حوالي ثمانين فارساً، فأقام في استانيماك وحوصر فيها حصاراً طويلاً. انظر: فلهاردوان، فتح القسطنطينية، ص١٥٨-١٥٩. (المترجم)

(٧٣) جلب جوهاينزا ملك ولاشيا معه الولاشيين- البلغاريين وأربعة عشر ألفاً من الكومان لمزيد من التفاصيل انظر: فلهاردوان، فتح القسطنطينية، ص١٦١-١٦٢. (المترجم)

(٧٤) لمزيد من التفاصيل عن مصرع لويس وأسر بلدوين انظر فلهاردون، فتح القسطنطينية، ص١٦٢-١٦٤، Acropolitae Annales, in C. S. H. B., P. 24., Wolff, "Baldwin of Flanders" in Speculum (1952), P.290. ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص٢٢١-٢٢٢.

(٧٥) تحدث فلهاردون بالتفصيل عن هؤلاء الذين فروا وأبحروا إلى الغرب وعددهم سبعة آلاف من الصليبيين، انظر الترجمة العربية، ص ١٦٨-١٦٩. (المترجم)

(٧٦) صاحب هنري عند الخروج لنجدة أخيه بلدوين الأرمن الذين وقفوا إلى جانبه لكراهيتهم للبيزنطيين وقد قرب عددهم من عشرين ألفاً، ومعهم نساؤهم وأطفالهم. ولكن سرعان ما ألمت بهؤلاء الأرمن كارثة كبيرة، إذ هاجمهم البيزنطيون من كل صوب وحدب، واحدقوا بهم، وأصبحوا إما بين هالك واسير. لمزيد من التفاصيل انظر فلهاردوان، فتح القسطنطينية، ص١٦٩-١٧١. (المترجم)

(٧٧) مات داندولو في ٢٩ مايو ١٢٠٥م وأودعوا جثمانه في كنيسة آيا صوفيا. أنظر فلهاردوان، فتح القسطنطينية، ص١٧٢، هامش ٢٢٨. (المترجم)

(٧٨) أجمع البارونات عزمهم على أن يبعثوا إلى البابا أنوسنت بابا روما وإلى فرنسا وإلى بقية الأقطار لطلب النجدة، وعهدوا بهذه المهمة إلى نيقيلون أسقف سواسون ونيقولا دي ميللي وجون بليود. انظر فلهاردوان، ص١٧٢. (المترجم)

(٧٩) بعد أن ضرب جوانيتزا (كالوجان) تراقيا، اتجه نحو الغرب إلى مملكة سالونيك، التي أمل أن يصبح سيداً عليها في غياب صاحبها بونيفاس، الذي كان يقوم بحصار نابلي في ذلك الوقت، ولكن ما لبث أن عاد مسرعاً إلى مملكته، وشرع في حمايتها والدفاع عنها. انظر فلهاردوان، ص١٧٢.

(٨٠) البيالصة أو البولصيون من أصل أرمني، وكانوا على مذهب بولص الشمشياطي الذي يقول بأن المسيح انسان فقط وأن الله تبناه. لمزيد من التفاصيل عنهم انظر: وسام عبد العزيز، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص٢٥٩. Lebeau, Hist. Du Bas. Empire, B, PP. 275-278.

(٨١) أجنس هي أخت فيليب اغسطس ملك فرنسا. (المترجم)

(٨٢) لمزيد من التفاصيل حول التحالف بين اليونانيين (البيزنطيين واللاتين) انظر: فلهاردوان، فتح القسطنطينية، الترجمة العربية، ص١٨٤-١٨٥

Acropolitae, Annales, in C. S. H. B., P. 26. Longnon, L'Empire Latin, PP. 85-86. (المترجم)

(٨٣) ظل رينيه محاصراً في ستانيماك مدة طويلة بلغت ثلاثة عشر شهراً، خرج لنجدته كونون دي بيثون وجوفري فلهاردون مارشال رومانيا وشمبانيا، وماكير دي سانت مينيهولد وبطري دي براشيو وغيرهم إلى جانب جماعة

من البنادقة لمزيد من التفاصيل أنظر : فلهاردون، الترجمة العربية، ص١٨٩-١٩٠ . (المترجم)

(84) L.R. Wolff, (Baldwin of Flanders and Hainaut, First Latin Emperor of Constantinople, His Life, death and Resurection 1172 - 1225,) Speculum, XXVII, (1952), 281-322.

(٨٥) عند تتويج هنري إمبراطوراً انظر : فلهاردوان، الترجمة العربية، ص١٩١ . (المترجم)

(٨٦) غير تعيين هنري إمبراطوراً مجرى الأحداث لصالح الإمبراطورية الناشئة فقد كان هنري كما وصفه المؤرخ البيزنطي أكروبوليتا «رجلاً شجاعاً قوياً، وقائداً عسكرياً بارعاً». انظر : Acropolitae, Annales, in C. S. H. P.P,29 (المترجم)

(٨٧) لمزيد من التفاصيل حول تصدي هنري للبلغار وانتصاراته على قيصرهم جوانيتزا انظر : فلهاردوان، الترجمة العربية، ص١٩١-١٩٣، ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص٢٢٤ . (المترجم)

(٨٨) أرسل هنري كتيبة إلى بيجي في أواخر عام ١٢٠٦م، وتقع بيجي على مصب نهر جرانيكو فيما وراء البوسفور، وتولى قيادة هذه الكتيبة بطرس براشيو ويساعده باين الادرلياني payen Orlea وآنسو كايه Anseau Cayeux واستاسن أخا الإمبراطور وجانباً كبيراً من أشجع محاربيه يقدر عددهم بمائة واربعين فارساً، وأظهر هؤلاء العنف والشدة في قتال ثيودور لاسكاريس وخربوا بلاده . انظر : فلهاردوان، الترجمة العربية، ص١٩٥ . (المترجم)

(٨٩) كيزيكوس وهي جزيرة في البحر وتعرف في المصادر العربية باسم (ارواد) وهي على الساحل الجنوبي لبحر مرمرة، انتقل إليها بطرس براشيو بعد أن هاجم بيجي، وأقام التحصينات عند مدخلها . لمزيد من التفاصيل انظر : فلهاردوان، الترجمة العربية، ص١٩٥ . (المترجم)

(٩٠) تقع نيقوميديا على بعد ٨٠ك . م . من نيقية عاصمة لاسكاريس، وقد هاجمتها كتيبة بقيادة السنشيال تيري لوس Thierry de los . انظر فلهاردوان، الترجمة العربية، ص١٩٥ . (المترجم)

(٩١) لمزيد من التفاصيل عن هذا التحالف انظر : فلهاردوان، الترجمة العربية، ص١٩٦-١٩٧ . (المترجم)

(٩٢) تطل قلعةكيبوتوس على خليج نيقوميديا وتشرف على نيقية . وقد هاجمها وليم دي سين واستولى عليها ولكن حاصره لاسكاريس براً وبحراً، وتمكن هنري نفسه من انقاذ حاميته المحاصرة داخل القلعة واضرم فيها النيران . لمزيد من التفاصيل انظر : فلهاردون، ص١٩٧ , ١٩٨ , ٢٠٠ , ٢٠١ .

(٩٣) لمزيد من التفاصيل انظر : فلهاردون، ص٢٠٢-٢٠٣ . (المترجم)

(٩٤) أورد فلهاردون تفاصيل كثيرة حول هذا الموضوع انظر : الترجمة العربية، ص٢٠٣-٢٠٥ . (المترجم)

(٩٥) لمزيد من التفاصيل عن حصار جونيتزا (كالوجان) لادريانوبل انظر : ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص٢٢٥ . (المترجم)

(٩٦) عن الهدنة بين هنري ولاسكاريس ودوافع كل منهما لعقدها انظر : فلهاردون، فتح القسطنطينية، الترجمة العربية، ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص٦٨-٦٩ .

(٩٧) لمزيد من التفاصيل عن هذا اللقاء انظر : فلهاردون، الترجمة العربية، ص٢٠٨-٢٠٩ . (المترجم)

(٩٨) نجح البلغار في مهاجمة سالونيك والايقاع بملكها بونيفاس مونتفرات في كمين، وكانت النتيجة أن جرح بونيفاس جرحاً خطيراً في ذراعه، وظل ينزف حتى فارق الحياة (٤ ديسمبر ١٢٠٧م) وخسرت الإمبراطورية اللاتينية بذلك واحداً من خيرة باروناتها . لمزيد من التفاصيل انظر فلهاردوان، الترجمة العربية، ص٢٠٩-٢١٠ .

(المترجم)

(٩٩) عن الآراء المختلفة حول موت كالوجان أثناء حصاره سالونيك انظر : روبرت كلاري، الترجمة العربية، ص١٥٢، Acropolitae, Annales, in C. S. H. B., P. 26., Longnon, L'empire Latin, P.100
(المترجم)

(١٠٠) لمزيد من التفاصيل انظر : Valenciennes, Histoire de l'empereur Henri, (ed) Wailly, Paris 1882, PP,321-331
(المترجم)

(١٠١) أقبل سلاف على الإمبراطور هنري في خيمته في كريتكسيموس Krytximos غربي فيليبوبوليس وخر ساجداً أمامه، وقبل قدميه وأقسم له يمين الطاعة والولاء، وطلب من الإمبراطور يد ابنته غير الشرعية، فأجاب الإمبراطور طلبه بشرط أن يكون من رجاله المخلصين، وأن يؤدي له الخدمة العسكرية . لمزيد من التفاصيل انظر : Valenciennes, Histoire de l'empereur Henri, P. 333. ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص٢٨٨ .
(المترجم)

(١٠٢) النص في : P.L. CCXV, Col. 1522. no .207

(١٠٣) اوبيرتو بياندرات هو أحد زملاء بونيفاس مونتفرات، وهو نبيل لمباردي ارتبط بأسرة مونتفرات في ايطاليا، ولهذا آثر ابن بونيفاس لاإيطالي على ابنه من مارجريت المجرية، وسعى لتقوية علاقة مملكة سالونيك بقدر ما يمكن مع ايطاليا وإمارة مونتفرات . ولمزيد من التفاصيل انظر : Henri Valenciennes, Histoire de l'empereur Henri, P. 347, Finlay History of Greece, Vol. 4, P. 107. Longnon, L'empire, P. 206.
(المترجم)

(١٠٤) كونستبل أو كندسطبل هو قائد الجيش، يقود الجند في حالة غياب الإمبراطور، ويحمل لوائه في حفل تتويجه، وكان يقوم بدور القاضي ليفصل في القضايا بين الفرسان أثناء الحروب والمعارك . لمزيد من التفاصيل عن هذا المنصب انظر : Hendrickx, Les institutions de l'empire Latin de Constantinople, PP.198-200
(المترجم)

(١٠٥) عن هذه المؤامرة انظر : ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص٢١٢-٢١٣ , ٢٠٦ , ٢٠٧ من هذا المقال .

(١٠٦) أورد المؤرخ المعاصر هنري فالنسيان تفاصيل النقاش والتفاوض بين اللمبارديين في سالونيك وهنري . انظر : Henri Valenciennes, PP. 55-394.

(١٠٧) قبل بياندرات شرط الإمبراطور لأنه كان قد تظاهر بمساعدة مارجريت وابنها ديمتريوس، وحتى لا تظهر خيانته لهما .
(المترجم)

(108) V. de Bartholomaeis, "Un Sirventes historique d'Elias Cairel", Annales du Midi, XVI (1904), 496 ff., H. Jaeschke, Der Troubadour Elias Cairel (Romanische Studien, ed. E. Ebering, Part 20, Berlin, 1921), PP. 149 ff.

(١٠٩) تقع قلعة سيرس في الشمال الشرقي من سالونيك أما كريستوبوليس فتقع في مقدونيا . (المترجم)

(١١٠) فقد سمح لهم بالخروج من القلعة ومعهم ممتلكاتهم (إبريل ١٢١٩م) على أن هذا الحلم لم ينبع من كرم الأخلاق الذي اتصف به هنري بل من حكمة سياسية أيضاً، فقد كان الإمبراطور هنري يدرك أن الإمبراطورية اللاتينية ليس لديها العدد الكافي من الفرسان للاستمرار في قتال اللمبارديين هذا فضلاً عن رغبة مستشاري الإمبراطور في تهدئة الصراع مع اللمبارديين . لمزيد من التفاصيل انظر : Valenciennes, Histoire de l'empire Henri, PP. 393-399, 405, L'ongnon, L'empire Latin,P.109

(المترجم)

(١١١) وهي لاميا Lamia الآن وتقع في وادي اسبرخوس Spercheios بالقرب من لارسيا. (المترجم)

(١١٢) كانت إمارة المورة تتبع الإمبراطور اللاتيني في القسطنطينية تبعية اسمية فحسب وذلك لأن حكامها كانوا يدينون بالطاعة للمركيز بونيفاس مونتفرات في سالونيك. انظر ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص٤٣-٤٤.

(١١٣) النص في Tafel and Thomas, Urkanden, II, 95 ff

(١١٤) أرسل ميخائيل دوقاس في صيف عام ١٢٠٩م سفارة إلى هنري في معسكره جنوب سالونيك، وقد روى المؤرخ المعاصر هنري فالفسيان تفاصيل المفاوضات التي دارت بين هنري وميخائيل، وذكر أن الإمبراطور اشترط للنظر في عروض ميخائيل أن تكون جميع أملاكه إقطاعاً من الإمبراطورية اللاتينية بالقسطنطينية وأرسل له بذلك، فرد عليه ميخائيل بأن اقترح أن تتزوج ابنته الكبرى من يوشتاس فلاندرز شقيق الإمبراطور، ووعد أن يقدم مع يد ابنته ثلث أراضيه كصداق لها، وأعرب عن استعداده لتقديم الخدمة العسكرية للإمبراطور هنري براً وبحراً، وأن يعمل ما يروقه في جميع أنحاء الإمبراطورية. لمزيد من التفاصيل انظر: Henri Valenciennes, PP. 419, 421, Nicol, The despotate of Empiros, P.29. ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص ٩٢-٩٣, ٢٢٨.

(١١٥) النص في: R . H . G . F . XVIII, 551

(١١٦) في عام ١٢١٠م تنازلت البندقية عن اراضي إمارة ابيروس فيما عدا دورازو -على الساحل الشرقي للادرياتيك- لميخائيل دوقاس، ولقاء ذلك قدم ميخائيل للبنادقة واهل دورازو تنازلات تجارية، وأتاوة سنوية، ووعد باستبعاد أعداء البنادقة عن أراضيه. انظر ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص٩١.

(المترجم)

(١١٧) تحالف ميخائيل مع أحد أعداء الإمبراطورية اللاتينية وهو ستريز البلغاري، وعزما سويا على محاربة اللاتين وتدمير سالونيك، وتمكن هنري في نهاية الأمر من هزيمتهما وأجبرهما على أن يقسما يمين الطاعة والولاء. ولمزيد من التفاصيل انظر: ليليعبد الجواد، السياسة الخارجية، ص٩٤-٩٥.

(المترجم)

(١١٨) غزا يوريل على رأس البلغار والولاش والكومان تراقيا عام ١٢٠٨م، فخرج الإمبراطور هنري للقائه ونجح في هزيمتهم عند فيليبوبوليس. انظر ما سبق. (المترجم)

(١١٩) البوجوميل ينتسبون إلى جرميا بوجميل الذي بدأ ينشر تعاليمه عام ٩٢٧م، وقد أنكروا ما هو معروف عند المسيحيين بالنظام الكنسي، وقاموا بثورة على الكنيسة البلغارية. لمزيد من التفاصيل انظر: السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية، القاهرة ١٩٦٠م، ص٣٤٢, ٣٤٣. (المترجم)

(١٢٠) كان الإمبراطور هنري قد تحالف مع خصم لاسكارس وعدوه اللدود غياث الدين كيخسرو سلطان قونية ١٢٠٩م إذ جاء خطاب هنري للأساقفة اللاتين: «أن سلطان قونية أبرم معنا معاهدة صداقة وتحالف وتعهد بمساعدتنا على لاسكارس». انظر: Prinzing, "Der brief Kaiser Henrichs von Konstantinople von 13 Jannar 1212?" in Byzantion (1973), P.414 وترجمته بالعربية في ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص٢٥٦ وما يليها. (المترجم)

(١٢١) دارت معركة دامية بين لاسكاريس والسلطان السلجوقي غياث الدين أمام أنطاكية Antioche على نهر الماندر في غرب آسيا الصغرى سنة ١٢١١م، سقط فيها السلطان السلجوقي قتيلاً وتشتت شمل رجاله، ودخل ثيودور أنطاكية ظافراً، وأسر حمية الكسيوس الثالث، الذي التجأ إلى قونية طالباً المساعدة من غياث الدين

لاسترداد عرشه المغتصب، وساعد غياث الدين في معركة أنطاكية. لمزيد من التفاصيل انظر: Acropolitae, PP. 17-20, Houtsma, Histoire de Seldjoucides d'Asie Mineure, PP.36-37 ابن واصل مفرج الكروب في أخبار بني يوب، جـ٣، ص١٦٦، ابن الفرات، تاريخه، م٥، جـ١، ص٢٨، وعن نتائج معركة أنطاكية انظر: ليليعبد الجواد، السياسة الخارجية، ص٧١. (المترجم)

(١٢٢) عن انتصار يوستاس في معركة بلاجونيا انظر نص خطاب الإمبراطور هنري الذي نشره: Prinzing, "Der brief Kaiser Heinrichs von Konstantinople,Von 13 Januer 1212", in Byzantion (1973), P.414. وترجمته العربية في ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص ٢٥٦ وما يليها. (المترجم)

(١٢٣) لمزيد من التفاصيل انظر: ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص٧٢, ٢٥٧, ٢٦٠. (المترجم)

(١٢٤) تقع كل من بوبمانيوم ولينيتانا في إقليم ميسيا في شمال غرب آسيا الصغرى. وعن كيفية نجاح هنري في فتح هذه الأقاليم أنظر: ليلى عبد الجواد، ص٧٣. (المترجم)

(١٢٥) تقع في آسيا الصغرى على مقربة من شاطئ بحر ايجة. (المترجم)

(١٢٦) هو أحد خدمه ويدعى رومانوس. (المترجم)

(١٢٧) كان ثيودور انجيلوس يعمل في البداية في خدمة ثيودور لاسكاريس امبراطور نيقية حيث كان لاجئاً هناك، ولكن سرعان ما استدعاه أخوه ميخائيل دوقاس بعد أن طلب من لاسكاريس أن يسمح له بالانضمام إليه في اليونان. وفي عام ١٢٠٥م ترك ثيودور نيقية بعد أن أقسم مضطراً لثيودور وخلفاءه من بعده يمين الطاعة والولاء. انظر: Acropolitae, Annales, P.27 ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص٩٦. (المترجم)

(١٢٨) عن اختلاف الآراء حول موت الإمبراطور هنري انظر: روبرت كلاري، ص١٥٤.
Estoire de Eracles empereur, in R. H. C., Hisoriens Occidentaux 2, P. 289., Longnon, L'empier Latin, PP.150-152,289.
(المترجم)

(129) Ephraem (C. S. H. B), verses 7729 ff.

(130) Acropolites, Operu (ed. Heisenbery), I, 28.

(131) J. B. Cotelerius, Ecclesiae graecae monumenta, III (Paris, 1686), 516 ff.

(132) Analecta Sacra et profana spicilegio solesmensi parata, VII (ed. J. B, Pitra, Paris and Rome, 1895), Cols. 447 - 462, في مراسلات ديمتريوس خوماتيانوس رئيس أساقفة اوخريدا. وانظر أيضاً: M. Drinov, " O niekotorykh trudakh Demetriya Khomatiana Kak istoricheskon materialie, Vizantiiskii Vremennik, II (1895),15 ff.

(١٣٣) كونون بيثون أحد بارونات بلدوين، ونائبه في السفارة التي أرسلها الصليبيون إلى البنادقة للاتفاق على نقل جند الحملة الصليبية الرابعة إلى الشرق، كما كان شاعراً متميزاً، وله حياة حافلة في الشرق. (انظر الفصل الخامس من هذا الكتاب). (المترجم)

(١٣٤) كان البابا هونريوس قد رفض في بداية الأمر أن يتوج بطرس لأنه لم يرغب في الاعتداء على البطريركية اللاتينية في القسطنطينية والتي كان ذلك واحداً من امتيازاتها، كذلك أراد تتويج بطرس خارج الأسوار أن يضع حداً فاصلاً بين الإمبراطورية الرومانية الشرقية والغربية. انظر: ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص٩٨.

(المترجم)

(135) Pressulti, Regestta, no. 497, Opera (ed. Horow), II, Col. 360, no. 294.

(136) L. M. Duru, Bibliotheque historique de l'L'Yonne (Auxerre and Paris (((1850), P. 441, وهو الذي نشر النص المعاصر لحياة هيج نويرز Hugh of Noyers أسقف اوكسر.

(١٣٧) بلاتامون تقع على بعد كيلومتر من جنوب سالونيك، وكانت تحرس المدخل إلى خليج سالونيك. انظر ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص١٠١. (المترجم)

(١٣٨) لمزيد من التفاصيل عن هجوم ثيودور انظر: ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص١٠١-١٠٢.

(139) Aubrey of Trois - Fontaines (M G H; SS., XXIII), P. 910.

(١٤٠) أثار اختيار فاتاتزيس إمبراطوراً لعرش نيقية الحقد والكراهية في نفس الكسيوس واسحق أخوة ثيودور لاسكاريس، فتآمرا على الإمبراطور الجديد غير أنهما فشلا في انتزاع العرش منه، لذلك ذهبا إلى الإمبراطور اللاتيني روبرت، يطلبان المساعدة من أجل استرداد العرش انظر: Acropolites, P. 37.,Gregoras, P.25. ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص٧٧.

(١٤١) تقع قلعة سيرس إلى الشمال الشرقي من سالونيك. (المترجم)

(١٤٢) كان البابا قد دعا لحملة صليبية من أجل الدفاع عن سالونيك ضد هجمات ثيودور انجيلوس وتقرر أن يقودها وليم مونتفرات أخو ديمتريوس ملك سالونيك غير الشقيق، ولكن لم يقدر له المجيء إذ داهمه المرض. (المترجم)

(١٤٣) عن النتائج التي ترتبت على وقوع سالونيك في يد ثيودور أمير ابيروس وآثارها على الإمبراطورية اللاتينية انظر: ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص١٠٣-١٠٤. (المترجم)

(١٤٤) لمزيد من التفاصيل عن الانتصار الذي حققه فاتاتزيس عن اللاتين انظر: ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية. ص٧٨. (المترجم)

(١٤٥) تقع ادرنة على بعد ٢٠٠ كم من القسطنطينية. (المترجم)

(١٤٦) عن بنود هذا الصلح انظر: Acropolitae, P.41 ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص٧٩. (المترجم)

(147) R. Predelli, "II Liber communis detto anche Plègiorum", Archivio Veneto, III - VI(I (1872-1874), Supplement, PP.184-185

(١٤٨) سجل آسن في هذا النقش انتصاراته على أمير أبيروس ثيودور انجيلوس، وذكر فيه أنه احتل كل الأراضي من ادرنة حتى دورازو، وأن اللاتين يمتلكون القسطنطينية والمدن التي تجاورها فقط، وأنهم واقعون تحت سلطان إمبراطوريته، وليس لهم إمبراطور سواه وبوجوده يحيون، وأنهم لن يستمروا في البقاء إلا بفضله. لمزيد من التفاصيل انظر: ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص١٠٩، ص٢٣٠-٢٣١. (المترجم)

(149) F. I. Uspenskii, "Odrevnosty - akh goroda Tyrnova", Izvestiya Russkago arkheologicheskage instituta V Konstantinopolie, VII (1902), 6 ff., and plate,5

(150) R. Predelli, Loc. Cit ,PP.185-186,Tafel and Thomas, Urkunden, I,P. 265 ff. وعن دور حنا دي برين في الحملة الصليبية الخامسة انظر ما يلي في الفصل الحادي عشر، صفحات ٣٨٩-٤٢٨، وبالنسبة لمملكة بيت المقدس انظر ما يلي: الفصل الخامس عشر، صفحات ٥٣٦-٥٤٢.

(١٥١) كانت جزيرة رودوس منذ عام ١٢٠٤م في يد مغامر يوناني يدعى ليوجاباالاس ، وقد احتفظ باستقلاله بتلك الجزيرة برعاية مصالح البندقية التجارية ، غير أنه اضطر في عام ١٢٣٣م أن يعترف بالسيادة لحنا فاتازيس ، وأن يصبح فصلاً تابعاً لنيقية بلقب قيصر . انظر ليلى عبد الجواد ، السياسة الخارجية ، ص٨١ ، هامش ١ . (المترجم)

(١٥٢) تقع على الطريق بين ادرنة وفيليبولوليس . انظر ليلى عبد الجواد ، السياسة الخارجية ، ص١٠٨ . (المترجم)

(١٥٣) انتخب جرمانوس بطريركياً لنيقية عام ١٢٢٢ ، وظل يشغل هذا المنصب حتى عام ١٢٤٠م . (المترجم)

(١٥٤) كان هؤلاء الفرنسيسكان قد وصلوا بالصدفة إلى نيقية في طريق عودتهم إلى بلادهم من الأراضي المقدسة ، ولا تعرف أسماءهم . لمزيد من التفاصيل انظر : ليلى عبد الجواد ، السياسة الخارجية ، ص١٤٤ .

(١٥٥) (والابن Filioque) عبارة تعني ابن الروح المقدس لم ينبثق من الأب فحسب ، بل ومن الابن أيضاً . (المترجم)

(١٥٦) اقترح البيزنطيون عقد مجمع عام يضم بطاركة نيقية ، بيت المقدس ، وانطاكية والإسكندرية . وهو المجمع الذي رفض السفراء حضوره . (المترجم)

(157) P. G. Golubovich, (Disputatio....) Archivum Franciscanum historicum, XII (1919), 446; M. Roncaglia, Les Freres Mineurs et l'eglise grecque orthodoxe au XIII esiecle, 1231-1274, Biblioteca bio - bibliografica della terra Santa e dell'orien Francescano, Ser. 4. Studi, II (cairo, 1954), PP. 23-120, R. L. Wolff, "The Latin Empire of Constantinople and Franciscans", Traditio, II (1944) 213-237.

(١٥٨) تقع نيمفايوم في ليديا بآسيا الصغرى . (المترجم)

(١٥٩) تقع لامبساكوس على الدردنيل . (المترجم)

(١٦٠) انظر ليلى عبد الجواد ، السياسة الخارجية ، ص٨١-٨٢ .

(161) Mouskes (ed. De Reiffembery), II, 614-615, ver ses 29068-29079.

(١٦٢) لمزيد من التفاصيل انظر مقال وولف المذكور سابقاً ، هامش ٣١ ، ومقارنة مع :
M. J. Buckley, "The Problematicai Octogenari" anisms of John of Brienne , Speculum, XXXII(1957) 315-322.

(١٦٣) انظر :
V. Grumel, "L' Authenticite de la Lettre de Jean Vatatzes, empereur de Nicee (au pape Gregoire IX", Echos d' Orient, XXIX (1930) 450 - 458
هذا بالنسبة للترجمة الفرنسية والنقاش حول هذا الخطاب أما عن النص اليوناني فقد نشره و A . Meliarakes أثينا ، ليبرج ١٨٩٨ ، ص٢٧٦ وما يليها ونشره أيضاً :
Sakellion, in the Greek periodical Aoquavo, I.I (1873), pp, 371-378.

(١٦٤) إكليل الشوك من الآثار المسيحية النفيسة التي وجدت بقصر البوكليون بالقسطنطينية ، انظر ليليعبد الجواد ، السياسة الخارجية ، ص١٩٤ . (المترجم)

(١٦٥) يقدر هذا المبلغ بحوالي ١٨٠,٠٠٠ فرنك ذهب .

(١٦٦) كانت المهلة المقدمة في البداية شهر، ثم ينقل إلى البندقية ويوضع بها لمدة أربعة أشهر. بعدها يصبح إكليل الشوك ملكاً له. انظر: ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص١٩٤. (المترجم)

(١٦٧) عن صليبية عام ١٢٣٩م انظر ما يلي الفصل الثالث عشر، صفحات ٤٦٩-٤٨١.

(١٦٨) لمزيد من التفاصيل انظر ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص٨٤-٨٥. (المترجم)

(١٦٩) أي حتى يتفرغ لمنافسة البيزنطي ثيودور أمير أبيروس. (المترجم)

(170) (Jean) du Bouchet, Histoire generalogique de la maison de Courtenay (paris 1661), Preuves, P. 19 .

وقارن مع ما يلي، الفصل ١٩، صفحة ٢٩٢، هامش ١٢، فيما يتعلق بشخصية أم كيخسرو وجنسيتها.

(171) A. Teulet, Layettes, II, PP. 518-519, no. 3123.

(١٧٢) صرح البابا انوسنت الرابع (١٢٤٢-١٢٥٤م) بانه حزن لانشقاق الكنيسة البيزنطية التي ظلت منفصلة عن أمها، كما لو كانت أماً شرسة، وعبر كذلك عن رغبته في أن يرى البيزنطيين عائدين إلى كنيسة روما. انظر ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص١٤٦. (المترجم)

(١٧٣) حدث تقارب بين فريدريك الثاني وحنا فاتاتزيس بسبب عداوتهما للبابا، ووعد فريدريك بأن يساعد فاتاتزيس على تحرير القسطنطينية في أيدي اللاتين على أن يعرف فاتاتزيس بسياق فريدريك ويعمل على إعادة الوحدة بين الكنيستين الشرقية والغربية، وتوطدت العلاقة بينهما بزواج كونستانس ابنة فريدريك من فاتاتزيس. لمزيد من التفاصيل انظر: ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص١٨٨-١٩٠. (المترجم)

(174) R. L. Wolff, "Mortgage and Redemption of an Emperor's son: Castile (and the Latin Empire of Constantiople". Speculum, XXIX(1954) 45-84.

(١٧٥) بالنسبة لحملات لويس التاسع انظر ما يلي: الفصل الرابع عشر.

(١٧٦) كانت هذه السفارة تهدف إلى جانب تحقيق وحدة الكنيستين إلى فض التحالف القائم بين حنا فاتاتزيس وفريدريك الثاني. وأدت إلى غضب فريدريك على حليفه وصهره فاتاتزيس. لمزيد من التفاصيل انظر: ليلى عبد الجواد، المملكة اللاتينية، ص١٤٦-١٤٧، ١٨٨-١٩١. (المترجم)

(١٧٧) بعد أن أطلق سراحهم على أثر وفاة فريدريك الثاني. (المترجم)

(178) Schillmann, .F : والنص في R. L. Wolff, op. cit (in note :39), P. 69. Note,54 "Zur Byzantinischen Polilik Alexanders IV, Ronische Quartalichrift, XXII (1908), Part 4, P.114.

(١٧٩) في الحقيقة خلف ثيودور لاسكاريس ابنه حنا الرابع وكان في الثامنة من عمره لذلك تولى الوصاية عليه مستشاره الثقة موزالون Muzalon والبطريرك ارسينوس ثم تولى الوصاية عليه ميخائيل باليولوجوس بعد مصرع موزالون. لمزيد من التفاصيل انظر: ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص٢٣٦. (المترجم)

(١٨٠) كان ميخائيل باليولوجوس من الطبقة الأرستقراطية، وكان يمكنه إقامة الدعوى على صلاته بعائلات دوقاس وانجيلوس وكومنين. انظر: ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص٢٣٦. (المترجم)

(١٨١) عن هذه الخطة أنظر: ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص٢٣٦. (المترجم)

(182) P. G. Geanakoplos, "Greco - Latin Relations on the Eve of the Byzantine Restoration:The Battle of Pelagonia 1259; Dumbarton Oaks Papers, VII(1953), 101-141.

وانظر أيضاً للمؤلف نفسه : The Nicene Revolution of 1258 and The Usurpation of Michael VIII Palaeologus", Traditio, IX(1953),420-430 وعن وليم أمير آخايا انظر ما يلي في الفصل السابع، ص٢٤٤-٢٥٩ .

(١٨٣) لمزيد من التفاصيل عن هذه المفاوضات انظر : ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص٢٠٠-٢٠٣ . (المترجم)

(١٨٤) Wolff, Loc. Cit .L .R . وانظر ما سبق حاشية ٣٩ .

(١٨٥) هو انسو التوسي Anseau Toucy . (المترجم)

(١٨٦) جالاتا تقع عل الشاطئ الشمالي للقرن الذهبي . (المترجم)

(١٨٧) نشر نوردن النص : W. Norden, Das Papstium und Byzanz (Berlin,1903 وطبع في نيويورك عام ١٩٥٨م، ص ٧٥٩ وما يليها .

(١٨٨) لمزيد من التفاصيل عن الصراع بين جنوة والبندقية في بلاد الشام انظر : ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية، ص١٨٢-١٨٤ . (المترجم)

(١٨٩) نيمنايوم تقع على بعد ٣٠كم شرقي ازمير . (المترجم)

(١٩٠) النص في :

C. Manfroni, "Le Relazioni Fra Genova, l'impero Bizantino. E I Turchi", Atti della Societa Ligure di Storia Patria XXVIII (1898), 791 ff Cf. Also: Liber jurium reipublicat Genovensis (Monumenta Historiae Patriat, VII, Turin 1854) Cols. 1350 ff. No. 945.

وعن مناقشة شؤون جنوة التجارية في الشرق والتخطيط لها . انظر : الفصل الرابع من هذا العمل أو من هذا المؤلف .

(191)Annales, S. Iustinae Patavinar (M G H, ss, XIX), P. 182.